تحليل شخصية السادات

كانت مصر مسكونة بالسادات وكان السادات عاشقا لمصر محبا لها وهبها حياته وضحى بها فى سبيلها. هو الآخر مسكونا بها!.

.. بعد توسده كرسى الحكم كانت الكثرة الغالبة من بعض دول العالم ناهيك عن البلاد العربية وكذلك المصريون يرون أن السادات لن يملأ الفراغ الذى تركه «جمال عبد الناصر» بموته.

.. كان الرأى العام Public opinon قد عقد رأيه على السادات فى ذلك الشعور تجاهه مما شكل فى نفسية السادات قهرا وقسرا بل مأساة Tragedy قوتَّ من عزيمته وزادت من صلابته فى أن يمضى فى طريقه المرسوم نحو إعلاء شأن مصر وطرد المحتل الإسرائيلى من أرضها، وأصبح يخاطب الشعب عبر الأثير ومن خلال التلفاز بحديث هو أشبه (بحديث المدفأة) الذى كان ينتهجه الرئيس الأمريكى " روزفلت " لأنه كان يريد اتصاله على مستوى الإعلام الداخلى والخارجى بالشعب مباشرة مما أكد وعيه الإعلامى الباكر ولم يفصل باتصاله هذا بين الأقوال والأفعال.

.. كانت "عناقيد الغضب" The Grapes wrath كما عبر الأديب العالمى جون شتاينبك John Steinbeck لما تزل تسقط على أم رأس السادات فى كل حين :

فلا الشعب مل الأمير القديم
ولا بالأمير الجديد افتتن

.. ولكنه نجح فى إزالتها باتصاله الدائم بالشعب وصدقه فيما ينهه إليه. فمن المقرر فى أنه عندما يشعر المتلقى «Receiver» باحترام المتحدث إليه فإنه يبادله الثقة فى شخصه والإعجاب المتبادل بينهم.

.. وملأ السادات فراغ عبد الناصر وفتح المعتقلات وقضى على دولة المخابرات التى كان شغلها الشاغل هو المواطن المصرى من أجل التربص به والترصد له.

.. وأصبح السادات كما يذكر المؤرخ «وليم بيرنشتاين»،من ملوك الكلمة Masters of the world التى مست شغاف بعض القلوب وعميت الأفهام الأخرى عن استيعابها فالكل كان على (عجلة) من أمره من أن يسمع خبرا عن حرب التحرير لكل ما يعتمل فى قلبه من حبه لوطنه وكراهة لإسرائيل

.. ويقول أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» فى هذا الصدد:

«إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه (أناة) فلو أمضيناه عليهم ؟ فأمضاه عليهم».

.. وتأنَّى السادات وفكر ودبر ولجأ إلى دهائه حتى قاد المصريين إلى النصر المبين

.. فى معركة القادسية قال عمربن الخطاب :

.. « والله لأرمين ملوك العجم بملوك العرب».

وكأن السادات هو الآخر قال:

.. «والله لأرمين قادة إسرائيل وجيشها بقادة مصر وجيشها».

.. يحكى التاريخ الإسلامى أن امرأة مسلمة استصرخت «المعتصم بالله» عندما وقعت أسيرة فى جيش الروم فى إحدى المعارك مع المسلمين فلما علم «المعتصم بالله» بهذا الأمر أرسل رسالة مهينة لقائد جيش الروم قال له فيها :

«من المعتصم بالله خليفة المسلمين إلى (كلب الروم) : !

أما بعد

بلغنى أن امرأة مسلمة أسيرة فى جيشكم فو الله الذى لا إله غيره إن لم ترسل المرأة الموحدة إلى ديارها معززة مكرمة لأرسلن لك جيشا أوله عندكم وآخره عندنا»

.. فلما وصلت الرسالة إلى قائد جيش الروم وقرأها ارتعدت فرائصه من الخوف وأرسل المرأة معززة مكرمة وفى صحبة نسوة من الرومان لأنه يعلم عزة هذا الدين.

.. كان السادات يعلم يقينا أن جنود مصر خير أجناد الأرض كما ذكر الرسول «عليه الصلاة والسلام» ورمى السادات جنود إسرائيل بخير أجناد الأرض.

.. وانتصرت مصر على إسرائيل فى حرب أكتوبر انتصارا حربيا ومعنويا طبق الأفاق وارتج العالم له بأسره.

.. وعندما خطب السادات بمجلس الشعب المصرى عام ١٩٧٧م قائلا:

.. «إنه مستعد أن يذهب إلى آخر العالم بما فى ذلك إسرائيل للتفاوض واسترداد مصر لجميع أراضيها المحتلة بالطرق السليمة».

.. وفى ٩ نوفمبر ١٩٧٧م أعلن السادات أنه مستعد أن يذهب إلى إسرائيل من أجل التباحث حول مفاوضات السلام مع الجانب الإسرائيلى وفى الكنيست الإسرائيلى ذاته(البرلمان الإسرائيلى) وسارعت إسرائيل بدعوة السادات إلى زيارة القدس ظنا منها أن كلام السادات لم يكن إلا للاستهلاك المحلى أو حماسة زائدة وأنها بذلك تحرج السادات رئيس أكبر دولة عربية أمام الرأى العام العربى والعالمى .وقبل زيارة القدس سافر الرئيس السادات إلى سوريا فى محاولة لإقناع الرئيس السورى حافظ الأسد بالمشاركة فى تلك المبادرة وتأييدها ولكن الرئيس السورى رفض ذلك وقال للسادات إن الأيام سوف تثبت لك أنك مخطئ ولكن مع مرور الأيام أثبتت الأيام عكس ذلك وأن الرئيس السورى هو الذى كان مخطئا وأن إسرائيل تقوى باستعداء العرب.

.. فى ١٩ نوفمبر ١٩٧٧م قام السادات بزيارة إسرائيل وسط دهشة وانبهار العالم بهذه الزيارة التى وصفها البعض من الذين عايشوها وشاركوا فيها بأنها كانت بمثابة الهبوط على سطح القمر وسط تغطية إعلاميه من العالم كله ,وفى إسرائيل ألقى السادات خطابه الشهير فى الكنيست الإسرائيلى الذى قال فيه (ونثبته هنا للتاريخ) حيث إنه كان خطابا جامعا شاملا لكل أبعاد القضية العربية برمتها:

.. اسمحوا لى أولا أن أتوجه إلى السيد رئيس الكنيست بالشكر الخاص،لإتاحته هذه الفرصة، لكى أتحدث إليكم. وحين أبدأ حديثى أقول:

السلام عليكم ورحمة الله، والسلام لنا جميعا، بإذن الله.

السلام لنا جميعا، على الأرض العربية وفى إسرائيل، وفى كل مكان من أرض هذا العالم الكبير، المعقّد بصراعاته الدامية، المضطرب بتناقضاته الحادّة، المهدّد بين الحين والحين بالحروب المدمِّرة، تلك التى يصنعها الإنسان، ليقضى بها على أخيه الإنسان. وفى النهاية، وبين أنقاض ما بنَى الإنسان، وبين أشلاء الضحايا من بنِى الإنسان، فلا غالب ولا مغلوب، بل إنّ المغلوب الحقيقى دائما هو الإنسان، أرقى ما خلقّه الله. الإنسان الذى خلقه الله، كما يقول غاندى، قدّيس السلام، «لكى يسعى على قَدَميه، يبنى الحياة، ويعبد الله».

وقد جئت إليكم اليوم على قَدَمَيْن ثابتَيْن، لكى نبنى حياة جديدة، لكى نُقِيم السلام. وكلنا على هذه الأرض، أرض الله، كلنا، مسلمين ومسيحيين ويهود، نعبد الله، ولا نشرك به أحدا. وتعاليم الله ووصاياه، هى حب وصدق وطهارة وسلام.

وإننى ألتمس العذر لكل من استقبل قراري، عندما أعلنته للعالم كله أمام مجلس الشعب المصرى، بالدهشة، بل الذهول. بل إن البعض، قد صوّرت له المفاجأة العنيفة، أن قرارى ليس أكثر من مناورة كلامية للاستهلاك أمام الرأى العام العالمى، بل وصفه البعض الآخر بأنه تكتيك سياسى، لكى أخفى به نوايای فى شنّ حرب جديدة.

ولا أخفى عليكم أن أحد مساعدىّ فى مكتب رئيس الجمهورية، اتصل بى فى ساعة متأخرة من الليل، بعد عودتى إلى بيتى من مجلس

الشعب،ليسألنى، فى قلق: وماذا تفعل،يا سيادة الرئيس،لو وجّهت إليك إسرائيل الدعوة فعلا؟ فأجبته،بكل هدوء: سأقْبلها على الفور.

لقد أعلنت أننى سأذهب إلى آخِر العالم. سأذهب إلى إسرائيل،لأننى أريد أن أطرح الحقائق كاملة أمام شعب إسرائيل.

إننى ألتمس العذر لكل من أذهله القرار،أو تشكك فى سلامة النوايا وراء إعلان القرار. فلم يكن أحد يتصور أن رئيس أكبر دولة عربية،تتحمل العبء الأكبر والمسؤولية الأولى فى قضية الحرب والسلام فى منطقة الشرق الأوسط،يمكن أن يعرض قراره بالاستعداد للذهاب إلى أرض الخصم. ونحن لا نزال فى حالة حرب،بل نحن جميعا لا نزال نعانى آثار أربع حروب قاسية خلال ثلاثين عامًا،بل إن أُسَر ضحايا حرب أكتوبر ١٩٧٣م، لا تزال تعيش مآسى الترمل، وفقْد الأبناء،واستشهاد الآباء والإخوان.

كما أننى، كما سبق أن أعلنت من قبل، لم أتداول هذا القرار مع أحد من زملائى وإخوتى، رؤساء الدول العربية، أو دول المواجهة. ولقد اعترض من اتصل بى منهم، بعد إعلان القرار، لأن حالة الشكّ الكاملة،وفقدان الثقة الكاملة، بين الدول العربية والشعب الفلسطينى، من جهة،وبين إسرائيل من جهة أخرى، لا تزال قائمة فى كل النفوس. ويكفى أن أشهرًا طويلة، كان يمكن أن يحلّ فيها السلام. قد ضاعت سدى،فى خلافات ومناقشات لا طائل منها حول إجراءات عقد مؤتمر جنيف، وكلها تعبّر عن الشك الكامل وفقدان الثقة الكاملة.

ولكننى أصارحكم القول بكل الصدق، أننى اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل،وأنا أعلم أنه مخاطرة كبيرة، لأنه إذا كان الله قد كتب لى قدرى أن أتولى المسؤولية عن شعب مصر، وأن أشارك فى مسؤولية المصير، بالنسبة إلى الشعب العربى وشعب فلسطين، فإنّ أول واجبات هذه المسؤولية، أن أستنفد كل السبُل، لكى أجنّب شعبى المصرى العربى، وكل الشعب العربى، ويلات حروب أخرى، مُحَطمة، مُدمرة، لا يعلم مداها إلاّ الله.

وقد اقتنعت بعد تفكير طويل،أن أمانة المسؤولية أمام الله، وأمام الشعب، تفرض علىّ أن أذهب إلى آخِر مكان فى العالم، بل أن أحضر إلى بيت المقدس، لأخاطب أعضاء الكنيست، ممثلى شعب إسرائيل، بكل الحقائق التى تعتمل فى نفسى، وأترككم،بعد ذلك، لكى تقرروا لأنفسكم. وليفعل الله بنا،بعد ذلك، ما يشاء.

أيها السيدات والسادة

إنّ فى حياة الأمم والشعوب لحظات، يتعين فيها على هؤلاء الذين يتّصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة، أن ينظروا إلى ما وراء الماضى، بتعقيداته ورواسبه، من أجل انطلاقة جسور نحو آفاق جديدة.

وهؤلاء الذين يتحملون، مثلنا، تلك المسؤولية الملقاة على عاتقنا،هم أول من يجب أن تتوافر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية، التى تتناسب مع جلال الموقف. ويجب أن نرتفع جميعًا فوق جميع صور التعصب،وفوق خداع النفس،وفوق نظريات التفوق البالية. ومن المهم ألاّ ننسى أبدًا أن العصمة لله وحده.

وإذا قلت إننى أريد أن أجنّب كل الشعب العربى ويلات حروب جديدة مفجعة. فإننى أعلن أمامكم، بكل الصدق، أننى أحمل نفس المشاعر،وأحمل نفس المسؤولية، لكل إنسان فى العالم،وبالتأكيد نحو الشعب الإسرائيلى.

فإن الروح،التى تُزهق فى الحرب، هى روح إنسان، سواء كان عربيًا أو إسرائيليًا. إنّ الزوجة التى تترمل، هى إنسانة، من حقّها أن تعيش فى أسرة سعيدة،سواء كانت عربية أو إسرائيلية.

إنّ الأطفال الأبرياء،الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم،هم أطفالنا جميعًا،على أرض العرب،أو فى إسرائيل،لهم علينا المسؤولية الكبرى فى أن نوفر لهم الحاضر الهانىء، والغد الجميل.

من أجل كل هذا، ومن أجل أن نحمى حياة أبنائنا وأخواتنا جميعًا،من أجل أن تُنتج مجتمعاتنا، وهى آمنة مطمئنة،من أجل تطور الإنسان وإسعاده وإعطائه حقّه فى الحياة الكريمة،من أجل مسؤوليتنا أمام الأجيال المقبلة، من أجل بسمة كل طفل يولد على أرضنا. من أجل كل هذا،اتخذت قرارى أن أحضر إليكم،رغم كل المحاذير، لكى أقول كلمتى.

ولقد تحملت وأتحمل متطلبات المسؤولية التاريخية. ومن أجل ذلك،أعلنت من قبل، ومنذ أعوام،وبالتحديد فى ٤ فبراير ١٩٧١م، أننى مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل. وكان هذا أول إعلان يصدر عن مسؤول عربى، منذ أن بدأ الصراع العربى – الإسرائيلى. وبكل

هذه الدوافع،التى تفرضها مسؤولية القيادة،أعلنت فى السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣م، وأمام مجلس الشعب المصري،الدعوة إلى مؤتمر دولي،يتقرر فيه السلام العادل الدائم.

ولم أكن، فى ذلك الوقت، فى وضع مَن يستجدى السلام أو يطلب وقف النار. وبهذه الدوافع كلها، التى يلزم بها الواجب التاريخى والقيادي،وقّعنا اتفاق فكِّ الاشتباك الأول،ثم اتفاق فكِّ الاشتباك الثانى فى سيناء. ثم سعينا نطرق الأبواب، المفتوحة والمغلقة، لإيجاد طريق معين نحو سلام دائم،عادل. وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله،لكى نتفهم دوافعنا وأهدافنا،ولكى نقنتع فعلا أننا دعاة عدل وصنّاع سلام.

وبهذه الدوافع كلها،قررت أن أحضر إليكم،بعقل مفتوح وقلب مفتوح وإرادة واعية،لكى نُقِيم السلام الدائم،القائم على عدل.

وشاءت المقادير أن تجىء رحلتى إليكم، رحلة السلام، فى يوم العيد الإسلامى الكبير،عيد الأضحى المبارك،عيد التضحية والفداء، حين أسلم (إبراهيم) – عليه السلام، جدُّ العرب واليهود. أقول حين أمره الله، وتوجّه إليه بكل جوارحه، لا عن ضعف، بل عن قوة روحية هائلة، وعن اختيار حرّ للتضحية بفلذة كبده، بدافع من إيمانه الراسخ،الذى لا يتزعزع، بمُثُلً عليا تعطى الحياة مغزى عميقًا. ولعلّ هذه المصادفة، تحمل معنا جديدا فى نفوسنا جميعا،لعلّه يصبح أملا حقيقيا فى تباشير الأمن والأمان والسلام.

أيها السيدات والسادة

دعونا نتصارح، بالكلمة المستقيمة، والفكرة الواضحة، التى لا تحمل أى التواء. دعونا نتصارح اليوم، والعالم كله، بغربه وشرقه، يتابع هذه اللحظات الفريدة، التى يمكن أن تكون نقطة تحوّل جذرى فى مسار التاريخ فى هذه المنطقة من العالم، إن لم يكن فى العالم كله.

دعونا نتصارح، ونحن نجيب عن السؤال الكبير: كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم، العادل؟

لقد جئت إليكم أحمل جوابى الواضح الصريح عن هذا السؤال الكبير، لكى يسمعه الشعب فى إسرائيل، ولكى يسمعه العالم أجمع، ولكى يسمعه أيضا كل أولئك، الذين تصل أصوات دعواتهم المخلصة إلى أذنى، أملا فى أن تتحقق، فى النهاية، النتائج التى يرجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخى.

وقبل أن أعلن جوابى، أرجو أن أؤكد لكم، أننى أعتمد، فى هذا الجواب الواضح الصريح، على حقائق عدة، لا مهرب لأحد من الاعتراف بها:

الحقيقة الأولى، أنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين.

الحقيقة الثانية، إننى لم أتحدث ولن أتحدث بلُغَتَيْن، ولم أتعامل ولن أتعامل بسياستَيْن. ولست أتعامل مع أحدٍ، إلاّ بلُغة واحدة، وسياسة واحدة، ووجْه واحد.

الحقيقة الثالثة، إنّ المواجهة المباشرة والخط المستقيم، هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح.

الحقيقة الرابعة، إنّ دعوة السلام الدائم،العادل، المَبْنى على احترام قرارات الأمم المتحدة، أصبحت اليوم دعوة العالم كله، وأصبحت تعبيرًا واضحًا عن إرادة المجتمع الدولى، سواء فى العواصم الرسمية،التى تصنع السياسة وتتخذ القرار، أو على مستوى الرأى العام العالمى الشعبى، ذلك الرأى العام الذى يؤثّر فى صنع السياسة واتخاذ القرار.

الحقيقة الخامسة،ولعلّها أبرز الحقائق وأوضحها،إنّ الأمة العربية لا تتحرك فى سعيها من أجل السلام الدائم،العادل،من موقع ضعف أو اهتزاز،بل إنها على العكس تمامًا،تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو السلام. صادرة عن إدراك حضارى أنه لكى تتجنب كارثة محقّقة،علينا وعليكم وعلى العالم كله،فإنه لا بديل من إقرار سلام دائم،وعادل،لا تزعزعه الأنواء،ولا تعبث به الشكوك،ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا.

من واقع هذه الحقائق،التى أردت أن أضعكم فى صورتها كما أراها،أرجو أيضًا أن أحذركم، بكل الصدق، أحذركم من بعض الخواطر، التى يمكن أن تطرأ على أذهانكم.

إن واجب المصارحة يقتضى أن أقول لكم ما يلى:

أولا: إننى لم أجئ إليكم لكى أعقد اتفاقًا منفردًا بين مصر وإسرائيل. ليس هذا واردًا فى سياسة مصر. فليست المشكلة هى مصر وإسرائيل. وأى سلام منفرد بين مصر وإسرائيل،أو بين أية دولة من دول المواجهة وإسرائيل،فإنه لن يُقِيم السلام الدائم،العادل،فى المنطقة كلها. بل أكثر

من ذلك،فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية، فإنّ ذلك لن يحقق أبدًا السلام الدائم، العادل، الذى يلحّ العالم كله اليوم عليه.

ثانيا: إننى لم أجئ إليكم لكى أسعى إلى سلام جزئى، بمعنى أن ننهى حالة الحرب فى هذه المرحلة،ثم نرجئ المشكلة برمّتها إلى مرحلة تالية. فليس هذا هو الحل الجذرى، الذى يصل بنا إلى السلام الدائم.

ويرتبط بهذا، أننى لم أجئ إليكم لكى نتفق على فضّ اشتباك ثالث فى سيناء،أو فى سيناء والجولان والضفة الغربية. فإنّ هذا يعنى أننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل إلى أى وقت مقبل،بل هو يعنى، أننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام، وأننا أضعف من أن نتحمل أعباء ومسؤوليات السلام الدائم، العادل.

لقد جئت إليكم لكى (نبنى معًا السلام الدائم)، (العادل)، حتى لا تُراق نقطة دم واحدة من جسد عربى أو إسرائيلى. ومن أجل هذا، أعلنت أننى مستعدّ لأن أذهب إلى آخِر العالم.

وهنا نعود إلى الإجابة عن السؤال الكبير: كيف نحقق السلام الدائم،العادل؟

فى رأيى، وأعلنها من هذا المنبر للعالم كله،أن الإجابة ليست مستحيلة، ولا هى بالعسيرة،على الرغم من مرور أعوام طويلة من ثأر الدم، والأحقاد والكراهية، وتنشئة أجيال على القطيعة الكاملة،

والعداء المستحكم. الإجابة ليست عسيرة،ولا هى مستحيلة،إذا طرقنا سبيل الخط المستقيم بكل الصدق والأمانة.

أنتم تريدون العيش معنا فى هذه المنطقة من العالم. وأنا أقول لكم، بكل الإخلاص، إننا نرحب بكم بيننا، بكل الأمن والأمان.

إنّ هذا فى حد ذاته،يشكّل نقطة تحوّل هائلة من علامات تحوّل تاريخى حاسم.

لقد كنّا نرفضكم، وكانت لنا أسبابنا ودعوانا.. نعم.

لقد كنّا نرفض الاجتماع بكم، فى أى مكان.. نعم.

لقد كنّا نصفكم بإسرائيل المزعومة.. نعم.

لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات الدولية،وكان ممثلونا، ولا يزالون، لا يتبادلون التحية والسلام.. نعم.

حدث هذا، ولا يزال يحدث.

لقد كنّا نشترط لأى مباحثات وسيطًا، يلتقى كل طرف على انفراد.. نعم.

هكذا تمّت مباحثات فضِّ الاشتباك الأول. وهكذا أيضًا تمّت مباحثات فضِّ الاشتباك الثاني.

كما أن ممثلينا التقوا فى مؤتمر جنيف الأول، دون تبادل كلمة مباشرة.. نعم. هذا حدث.

ولكننى أقول لكم اليوم،وأعلن للعالم كله،إننا نقبل بالعيش معكم فى سلام دائم وعادل. ولا نريد أن نحيطكم أو أن تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير،أو بقذائف الأحقاد والكراهية.

ولقد أعلنت أكثر من مرة، أن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة، اعترف بها العالم، وحملت القوّتان العُظميان مسؤولية أمنها وحماية وجودها. ولما كنّا نريد السلام، فعلا وحقًا، فإننا نرحب بأن تعيشوا بيننا، فى أمن وسلام، فعلا وحقًا.

لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع، حاولتم أن تبنُوه على مدى ربع قرن من الزمان. ولكنه تحطم فى عام ١٩٧٣م.

كان جدارًا من الحرب النفسية، المستمرة فى التهابها وتصاعدها.

كان جدارًا من التخويف بالقوة، القادرة على اكتساح الأمة العربية، من أقصاها إلى أقصاها.

كان جدارًا من الترويج، أننا أمّة تحولت إلى جثة بلا حراك، بل إن منكم من قال إنه حتى بعد مضىّ خمسين عامًا مقبلة، فلن تقوم للعرب قائمة من جديد.

كان جدارًا يهدد دائما بالذراع الطويلة، القادرة على الوصول إلى أى موقع وإلى أى بُعد.

كان جدارًا يحذرنا من الإبادة والفناء، إذا نحن حاولنا أن نستخدم حقّنا المشروع فى تحرير أرضنا المحتلة.

وعلينا أن نعترف معًا بأن هذا الجدار، قد وقع وتحطم فى عام ١٩٧٣م، ولكن، بقى جدار آخر. هذا الجدار الآخر، يشكل حاجزًا نفسيًا معقّدًا بيننا وبينكم. حاجزًا من الشكوك، حاجزًا من النفور، حاجزًا من خشية الخداع، حاجزًا من الأوهام حول أى تصرف أو فعل أو قرار، حاجزا من التفسير الخاطئ لكل حدث أو حديث.

وهذا الحاجز النفسى، هو الذى عبّرت عنه فى تصريحات رسمية، بأنه يشكّل سبعين فى المائة من المشكلة.

وإننى أسألكم اليوم، بزيارتى لكم، لماذا لا نمدّ أيادينا، بصدقٍ وإيمانٍ وإخلاصٍ، لكى نحطم هذا الحاجز معًا؟

لماذا لا تتفق إراداتنا، بصدقٍ وإيمانٍ وإخلاصٍ، لكى نزيل معًا كل شكوك الخوف والعذر والتواء المَقاصد وإخفاء حقائق النوايا؟

لماذا لا نتصدى معًا، بشجاعة الرجال، وبجسارة الأبطال، الذين يهَبون حياتهم لهدف أسمَى؟

لماذا لا نتصدى معًا، بهذه الشجاعة والجسارة، لكى نُقِيم صرحًا شامخًا للسلام، يحمى ولا يهدِّد، يشعّ لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الإنسانية نحو البناء والتطور ورفعة الإنسان؟

لماذا نُورث هذه الأجيال نتائج سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وتيتيم الأطفال، وترمل الزوجات، وهدم الأسر، وأنين الضحايا؟

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق، التى أوردها فى أمثال سليمان الحكيم: «الغش فى قلب الذين يفكرون فى الشرّ. أما المبشرون بالسلام، فلهم فرح».

«لقمة يابسة، ومعها سلامة، خير من بيت ملىء بالذبائح، مع الخصام».

لماذا لا نردّد معًا من مزامير داود النبى:

«إليك، يا رب، أصرخ. اسمع صوت تضرعى، إذا استغثت بك. وأرفع يدى إلى محراب قُدْسك، لا تجذبنى مع الأشرار ومع فَعَلة

الإثم،المخاطبين أصحابهم بالسلام،والشرّ فى قلوبهم. أعطهم حسب فِعلهم،وحسب شر أعمالهم. أطلب السلامة وأسعى وراءها».

أيها السادة

الحق أقول لكم،إن السلام لن يكون اسمًا على مسمّى،ما لم يكن قائمًا على العدالة،وليس على احتلال أرض الغير. ولا يَسُوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم.

وبكل صراحة، وبالروح التى حدت بى على القُدوم إليكم اليوم، فإنى أقول لكم، إنّ عليكم أن تتخلّوا، نهائيًا، عن أحلام الغزو، وأن تتخلّوا،أيضًا،عن الاعتقاد بأن القوة هى خير وسيلة للتعامل مع العرب.

إنّ عليكم أن تستوعبوا جيدًا دروس المواجهة بيننا وبينكم،فلن يجديكم التوسع شيئًا.

ولكى نتكلم بوضوح،فإن أرضنا لا تقبل المساومة،وليست عُرضة للجدل. إنّ التراب الوطنى والقومى، يعتبر لدينا فى منزلة الوادى المقدس طُوى،الذى كلّم فيه الله موسى – عليه السلام. ولا يملك أى منّا،ولا يقبل أن يتنازل عن شبر واحد منه،أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه.

والحق أقول لكم أيضًا، إن أمامنا،اليوم، الفرصة السانحة للسلام، وهى فرصة لا يمكن أن يجود بمثلها الزمان، إذا كنّا جادّين حقًّا فى النضال من أجل السلام.

وهى فرصة، لو أضعناها،أو بدّدناها، فلسوف تحلّ بالمتآمر عليها لعنة الإنسانية، ولعنة التاريخ.

ما هو السلام بالنسبة إلى إسرائيل؟

أن تعيش فى المنطقة، مع جيرانها العرب، فى أمن واطمئنان. هذا منطق أقول له نعم.

أن تعيش إسرائيل فى حدودها آمنة من أى عدوان. هذا منطق أقول له نعم.

أن تحصل إسرائيل على كل أنواع الضمانات،التى تؤمِّن لها هَاتَيْن الحقيقتين. هذا مطلب أقول له نعم.

بل إننا نعلن أننا نقبَل كل الضمانات الدولية، التى تتصورونها، وممّن تَرضَونه أنتم.

نعلن أننا نقبَل كل الضمانات، التى تريدونها من القوّتين العُظمَيين، أو من إحداهما، أو من الخمسة الكبار،أو من بعضهم.

وأعود فأعلن، بكل الوضوح، أننا قابلون بأى ضمانات تَرتضونها، لأننا فى المقابل، سنأخذ نفس الضمانات.

خلاصة القول،إذًا، عندما نسأل: ما هو السلام بالنسبة إلى إسرائيل؟

يكون الرد هو أن تعيش إسرائيل فى حدودها مع جيرانها العرب فى أمن وأمان، وفى إطار كل ما ترتضيه من ضمانات،يحصل عليها الطرف الآخر.

ولكن كيف يتحقق هذا؟ كيف يمكن أن نصِلَ إلى هذه النتيجة،لكى نصِلَ بها إلى السلام الدائم،العادل؟

هناك حقائق لا بد من مواجهتها،بكل شجاعة ووضوح.

هناك أرض عربية احتلتها، ولا تزال تحتلها، إسرائيل بالقوة المسلحة، ونحن نصرّ على تحقيق الانسحاب الكامل منها، بما فيها القدس العربية.

القدس التى حضرت إليها باعتبارها مدينة السلام،والتى كانت، وسوف تظل على الدوام،التجسيد الحىّ للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث.

وليس من المقبول أن يفكر أحد فى الوضع الخاص لمدينة القدس، فى إطار الضم أو التوسع. وإنّما يجب أن تكون مدينة حرة،مفتوحة لجميع المؤمنين.

وأهم من كل هذا، فإن تلك المدينة،يجب ألاّ تُفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرًا ومقامًا لعدة قرون.

وبدلا من إيقاظ أحقاد الحروب الصليبية،فإننا يجب أن نحيي روح عمر بن الخطاب وصلاح الدين،أى روح التسامح واحترام الحقوق.

إنّ دُور العبادة،الإسلامية والمسيحية،ليست مجرد أماكن لأداء الفرائض والشعائر،بل إنها تقوم شاهد صدقٍ على وجودنا،الذى لم ينقطع فى هذا المكان،سياسيًا وروحيًا وفكريًا.

وهنا،فإنه يجب ألا يخطئ أحد تقدير الأهمية والإجلال اللذين نكنّهما للقدس، نحن معشر المسيحيين والمسلمين. ودعونى أقُلْ لكم، بلا أدنى تردُّد، إننى لم أجىء إليكم تحت هذه القبة، لكى أتقدم برجاء أن تُجلوا قواتكم من الأرض المحتلة. إن الانسحاب الكامل من الأرض

المحتلة بعد ١٩٦٧م، أمر بديهى، لا نقبل فيه الجدل، ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد.

ولا معنى لأى حديث عن السلام الدائم، العادل، ولا معنى لأى خطوة لضمان حياتنا معًا فى هذه المنطقة من العالم، فى أمن وأمان، وأنتم تحتلون أرضًا عربية بالقوة المسلحة. فليس هناك سلام يستقيم أو يُبنى،مع احتلال أرض الغير.

نعم، هذه بديهية، لا نقبل الجدل والنقاش، إذا خلُصت النوايا وصَدَق النضال، لإقرار السلام الدائم، العادل، لجيلنا ولكل الأجيال من بعدنا.

أمّا بالنسبة للقضية الفلسطينية، فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلها، وليس هناك من يقبل، اليوم، فى العالم كله،شعارات رُفعت هنا فى إسرائيل، تتجاهل وجود شعب فلسطين، بل تتساءل أين هو هذا الشعب؟

إنّ قضية شعب فلسطين، وحقوق شعب فلسطين المشروعة، لم تعد، اليوم، موضع تجاهل أو إنكار من أحد. بل لا يحتمل عقل يفكر أن تكون موضع تجاهل أو إنكار.

إنها واقع استقبله المجتمع الدولى، غربًا وشرقًا، بالتأييد والمساندة والاعتراف، فى مواثيق دولية وبيانات رسمية، لن يجدى أحدًا أن يصمّ أذنيه عن دويّها المسموع،ليل نهار، أو أن يغمض عينيه عن حقيقتها التاريخية، حتى الولايات المتحدة الأمريكية، حليفكم الأول، التى تحمل قمة الالتزام لحماية وجود إسرائيل وأمنها، والتى قدّمت، وتقدّم إلى

إسرائيل كل عون معنوى ومادى وعسكرى. أقول حتى الولايات المتحدة اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع، وأن تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقًا مشروعة، وأن المشكلة الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهره، وطالما بقيت معلقة دون حل، فإن النزاع سوف يتزايد ويتصاعد، ليبلغ أبعادًا جديدة. وبكل الصدق، أقول لكم إن السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين، وإنه لخطأ جسيم، لا يعلم مداه أحد، أن نغمض الطرف عن تلك القضية،أو ننحّيها جانبًا.

ولن أستطرد فى سرد أحداث الماضى، منذ صدر وعد بلفور لستين عامًا خلَت، فأنتم على بيّنة من الحقائق جيدًا.

وإذا كنتم قد وجدتم المبرر،القانونى والأخلاقى، لإقامة وطن قومى على أرضٍ،لم تكن كلها ملكًا لكم،فأولى بكم أن تتفهموا إصرار شعب فلسطين على إقامة دولته من جديد فى وطنه.

وحين يُطالب بعض الغُلاة المتطرفين أن يتخلّى الفلسطينيون عن هذا الهدف الأسمى، فإنّ معناه،فى الواقع وحقيقة الأمر، مطالبة لهم بالتخلى عن هويتهم، وعن كل أمل لهم فى المستقبل.

إننى أحيّى أصواتًا إسرائيلية،طالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني،وصولا إلى السلام،وضمنًا له. ولذلك، فإننى أقول، أيها السيدات والسادة،إنه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه فى إقامة دولته وفى العودة. لقد مررنا،نحن العرب، بهذه التجربة من قبل،معكم،ومع حقيقة الوجود الإسرائيلى، وانتقل بنا

الصراع من حربٍ إلى حربٍ، ومن ضحايا إلى مزيد من الضحايا، حتى وصلنا، اليوم،نحن وأنتم، إلى حافة هاوية رهيبة وكارثة مروّعة، إذا نحن لم نغتنم اليوم معًا فرصة السلام الدائم والعادل.

عليكم أن تواجِهوا الواقع مواجَهة شجاعة، كما واجهته أنا.

ولا حلّ لمشكلة أبدًا بالهروب منها، أو بالتعالى عليها.

ولا يمكن أن يستقر سلام بمحاولة فرض أوضاع وهمية،أدار لها العالم كله ظهره، وأعلن نداءه الإجماعى بوجوب احترام الحق والحقيقة.

ولا داعى للدخول فى الحلقة المفرَغة مع الحق الفلسطيني.

ولا جدوى من خلق العقبات،إلاّ أن تتأخر مسيرة السلام،أو أن يُقتل السلام.

وكما قلت لكم، فلا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين. كما أن المواجَهة المباشرة والخط المستقيم، هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح. والمواجهَة المباشرة للمشكلة الفلسطينية،واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم، عادل، هو فى أن تقوم دولته.

ومع كل الضمانات الدولية، التى تطلبونها، فلا يجوز أن يكون هناك خوف من دولة وليدة، تحتاج إلى معونة كل دول العالم لقيامها. وعندما تدق أجراس السلام، فلن توجد يد لتدق طبول الحرب، وإذا وُجدت،فلن يُسمع لها صوتٌ.

وتصوروا معى اتفاق سلام فى جنيف، نزفّه إلى العالم المتعطش إلى السلام. اتفاق سلام يقومُ على:

أولا: إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية، التى أُحتلت فى عام ١٩٦٧م.

ثانيا: تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطينى، وحقّه فى تقرير المصير، بما فى ذلك حقّه فى إقامة دولته.

ثالثًا: حق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام داخل حدودها الآمنة، والمضمونة عن طريق إجراءات يُتفق عليها، تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية، بالإضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة.

رابعًا: تلتزم كل دول المنطقة بإدارة العلاقات فيما بينها، طبقًا لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وبصفة خاصة عدم الالتجاء إلى القوة، وحل الخلافات بينها بالوسائل السلمية.

خامسًا: إنهاء حالة الحرب القائمة فى المنطقة.

أيها السيدات والسادة

إنّ السلام ليس توقيعًا على سطور مكتوبة، بل إنه كتابة جديدة للتاريخ، إنّ السلام ليس مباراة فى المناداة به، للدفاع عن أية شهوات أو لِسَتر أية أطماع، فالسلام، فى جوهره، نضال جبّار ضد كل الأطماع والشهوات. ولعل تجارب التاريخ، القديم والحديث، تعلّمنا جميعًا أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية، لا يمكن أن تُقِيم الأمن، ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الأمن.

وعلينا، من أجل شعوبنا، من أجل حضارة صنعها الإنسان، أن نحمى الإنسان فى كل مكان، من سلطان قوة السلاح.

علينا أن نُعلى سلطان الإنسانية بكل قوة القيَم والمبادئ، التى تُعلى مكانة الإنسان.

وإذا سمحتم لى أن أتوجه بندائى من هذا المنبر إلى شعب إسرائيل، فإننى أتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة، إلى كل رجل وامرأة وطفل فى إسرائيل، إننى أحمل إليكم من شعب مصر،الذى يُبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل السلام،أحمل إليكم رسالة السلام، رسالة شعب مصر، الذى لا يعرف التعصب، والذى يعيش أبناؤه، من مسلمين ومسيحيين ويهود، بروح المودّة والحب والتسامح. هذه هى مصر، التى حمّلنى شعبها أمانة الرسالة المقدسة، رسالة الأمن والأمان والسلام.

فيا كل رجل وامرأة وطفل فى إسرائيل: شجعوا قيادتكم على نضال السلام، ولتتجه الجهود إلى بناء صرْح شامخ للسلام، بدلا من بناء القلاع والمخابئ المحصنة بصواريخ الدمار. قدّموا للعالم صورة الإنسان الجديد فى هذه المنطقة من العالم، لكى يكون قدوة لإنسان العصر، إنسان السلام فى كل موقع ومكان.

بشّروا أبناءكم،أن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام،وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة،للحياة الجديدة،حياة الحب والخير والحرية والسلام.

ويا أيتها الأم الثكلى.

ويا أيتها الزوجة المترملة.

ويا أيها الابن الذى فقد الأخ والأب.

يا كل ضحايا الحروب.
– املئوا الأرض والفضاء بتراتيل السلام.
– املئوا الصدور والقلوب بآمال السلام.
– اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر.
– اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال.
وإرادة الشعوب هي من إرادة الله.
أيها السيدات والسادة

قبل أن أصل إلى هذا المكان،توجّهت بكل نبضة فى قلبى، وبكل خلجة فى ضميرى، إلى الله – سبحانه وتعالى – وأنا أؤدى صلاة العيد فى المسجد الأقصى، وأنا أزور كنيسة القيامة، توجهت إلى الله – سبحانه وتعالى – بالدعاء أن يلهمنى القوة،وأن يؤكد يقين إيمانى بأن تحقّق هذه الزيارة أهدافها،التى أرجوها، من أجل حاضر سعيد، ومستقبل أكثر سعادة.

لقد اخترت أن أخرج على كل السوابق والتقاليد،التى عرفتها الدول المتحاربة،ورغم أن احتلال الأرض العربية ما زال قائمًا،بل كان إعلانى عن استعدادى للحضور إلى إسرائيل مفاجأة كبرى،هزّت كثيرًا من المشاعر،وأذهلت كثيرا من العقول،بل شككت فى نواياها بعض الآراء،برغم كل ذلك،فإننى استلهمت القرار بكل صفاء الإيمان وطهارته،وبكل التعبير الصادق عن إرادة شعبى ونواياه،واخترت هذا الطريق الصعب،بل إنه فى نظر الكثيرين أصعب طريق.

اخترت أن أحضر إليكم،بالقلب المفتوح والفكر المفتوح.

اخترت أن أعطى هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام.

اخترت أن أقدم لكم،وفى بيتكم،الحقائق المجرّدة عن الأغراض والأهواء.

لا لكى أناور،ولا لكى أكسب جولة،ولكن لكى نكسب معًا أخطر الجولات والمعارك فى التاريخ المعاصر،معركة السلام العادل والدائم.

إنها ليست معركتى فقط،ولا هى معركة القيادات فقط فى إسرائيل،ولكنها معركة كل مواطن على أرضنا جميعًا،من حقّه أن يعيش فى سلام. إنها التزام الضمير والمسؤولية فى قلوب الملايين.

وقد تساءل الكثيرون، عندما طرحت هذه المبادرة، عن تصورى لما يمكن إنجازه فى هذه الزيارة، وتوقعاتى منها. وكما أجبت السائلين، فإننى أعلن أمامكم أننى لم أفكّر فى القيام بهذه المبادرة من منطلق ما يمكن تحقيقه أثناء الزيارة، وإنما جئت هنا لكى أقدم رسالة.

ألا هل بلّغت؟ اللهّم فاشهد.

اللهم إننى أردد مع زكريا قوله: « أحبوا الحقّ والسلام».

وأستلهم آيات الله – العزيز الحكيم – حين قال: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ صدق الله العظيم.

والسلام عليكم.

.. استمع العالم إلى خطاب السادات فى الكنيست الإسرائيلى وطرح الحقائق كاملة أمام شعب إسرائيل وأمام العالم كله بما مفاده أن الشعب العربى والمصرى يريد السلام وأن على إسرائيل أن تتخلى عن أحلام الغزو وعن الاعتقاد بأن القوه هى خير سبيل للتعامل مع العرب وأنه لا حل لقضية الصراع العربى الإسرائيلى دون حل مشكله شعب فلسطين.

.. ولم يفهم الإسرائيليون ولا العرب المغزى الحقيقى من هذه الزيارة إلا بعد وفاة السادات وبعد استرجاع مصر لكامل أراضيها المحتلة فالإسرائيليون ظنوا أنهم بذلك كسبوا اعتراف أكبر دولة عربية بإسرائيل بدون مقابل وما يستتبع ذلك من اعتراف باقى الدول العربية والعرب ظنوا أن السادات قدم تنازلات دون مقابل وهو الاعتراف بإسرائيل،ولم يفهم العرب أن السادات يسرع من وتيرة الأحداث إذ أن السادات بهذه الزيارة ألقى الكرةَ فى الجانب الإسرائيلى.

.. ففى الفترة التى أعقبت حرب أكتوبر ١٩٧٣م وتدخل أمريكا فى الحرب لمصلحة إسرائيل أخذت إسرائيل تتلكأ فى الانسحاب من سيناء وبدأت تمارس لعبتها الإعلامية وكلام وشعارات هنا وهناك وهو أن ما تبقى من سيناء هو حق يهودى ولا رجعة فيه حتى إن بيجين عندما تولى رئاسة الوزراء فى إسرائيل أقسم أنه لن تزال أى مستوطنة إسرائيلية فى سيناء ظنا منها أنها تستطيع أن تلعب بأعصاب السادات وأن تدفعه إلى قول أو فعل ما يحسب عليه أمام الرأى العام العالمى كما كانت تفعل دائما ومازالت ولكن السادات أدرك ذلك وفهمه جيدا.

.. ويظهر هذا الفهم جليا , فقبل أن يعلن السادات أنه على أهبة الاستعداد للذهاب إلى إسرائيل فى خطابه الشهير فى مجلس الشعب المصرى أعلن السادات أن إسرائيل تتمسح بالخطوات الإجرائية، وتفعل أشياء تثير الأعصاب فمثلا قال إن هنرى كيسنجر يسافر من تل أبيب إلى الإسكندرية للتغير ضمه أو جُمله أو فَصله أو حَرف لدرجة أنه قال لهنرى كيسنجر أن هذا الكلام لا يساوى ثمن الوقود الذى يستهلكه من تل أبيب إلى أسكندريه وأعلن أيضا أن إسرائيل بهذه الأفعال تحاول أن تثير الأمه العربية كلها فبعض الزعماء تستثار أعصابهم بفعل هذه الإجراءات من جانب إسرائيل ويخرجون بتصريحات جوفاء تسب وتلعن فى إسرائيل وتخرج إسرائيل إلى العالم بمظهر الدولة الداعية للسلام والمحبة للسلام والتى تمد أيديها للعرب وهم يرفضون بل يسبون ويلعنون إسرائيل وكان رد السادات إنه ومع كل هذه الخطوات الاستفزازية من جانب إسرائيل فإنه موافق عليها مقدما بل وذاهب إلى إسرائيل أيضا، لقد فهمهم السادات جيدا ووعى درس الماضى .

.. كانت إسرائيل دوما تردد فى المنابر الدولية أنها دوله طالبة سلام وأن العرب هم الإرهابيون القتلة سافكى الدماء وأن على الدول الغربية أن تؤيدها و تمدها بالمال والسلاح حتى تستطيع أن تواجه العرب البرابرة وحتى تبرر عدوانها على العرب مستعينة فى ذلك بالشعارات الجوفاء التى كانت تردد فى العالم العربى شرقا وغربا التى كانت تقول بأن العرب سوف يلقون إسرائيل فى البحر ويا ليتها كانت صحيحة فقد

أضعفت تلك الشعارات غير الحقيقية العرب كثيرا أمام المجتمع الدولى وأفقدتهم أيضا كثير من تأييد دول العالم واحترامه.. فبهذه الزيارة محى السادات كل ذلك وأصبحت إسرائيل لأول مرة بعد حرب أكتوبر فى موقف رد الفعل ذلك الموقف الذى طالما تضع إسرائيل العرب فيه، فها هو رئيس أكبر دولة عربية فى المنطقة يزور إسرائيل بل ويعترف بها ولا يزال جزء من أراضيه محتل فى ذلك الوقت، فوضع المجتمع الدولى كله فى مواجهة إسرائيل وأصبحت إسرائيل أمام المجتمع الدولى مطالبة بأن تتقدم فى عملية السلام رغما عنها بل وأصبح عليها الإجابة على السؤال التالى وهو ماذا تنتظرى يا إسرائيل أكثر من هذا حتى تعيدى الأرض والحقوق إلى أصحابها فها هو رئيس أكبر دولة عربية تتحمل العبء الأكبر فى الصراع العربى الإسرائيلى يأتى إليكم ويمد يده بالسلام ..ماذا تريدى أكثر من هذا.....

.. ولم تكن ردود الفعل العربية إيجابية لزيارة إسرائيل وعملت الدول العربية على مقاطعة مصر وتعليق عضويتها بالجامعة العربية، ونقل المقر الدائم للجامعة من القاهرة إلى تونس (العاصمة)، وكان ذلك فى القمة العربية التى تم عقدها فى بغداد بناء على دعوة من الرئيس العراقى أحمد حسن البكر فى ٢ نوفمبر ١٩٧٨م والتى تمخض عنها مناشدة السادات للعدول عن قراره بالصلح مع إسرائيل .

.. دعا الرئيس السادات بعد ذلك وقبل بداية كامب ديفيد ياسر عرفات وحافظ الأسد للمشاركة فى المفاوضات واستراجاع أراضيهم

المحتلة بعد عام ١٩٦٧م ولكنهم رفضوا ذلك واصفين إياه بالخيانة والعمالة لإسرائيل وأمريكا ويا ليتهم كانوا معه ولم يفهموا أن إسرائيل تقوى باستعداء العرب وأن السادات كان يستثمر النصر الذى أحرزه فى أكتوبر قبل أن يضيع فى طى النسيان. إلا أن السادات رفض ذلك مفضلا الاستمرار بمسيرته السلمية مع إسرائيل.

.. ١٩٧٧م اتخذ السادات إجراءات اقتصادية من شأنها تحويل الاقتصاد المصرى إلى اقتصاد القطاع الخاص حيث تبنى ما يعرف بسياسة الانفتاح ورفع الدعم عن بعض السلع مما حدا بطبقات من الشعب المصرى للقيام بمظاهرات ضد الارتفاع فى الأسعار الذى صاحب رفع الدعم عن بعض السلع الأساسية مثل الدقيق والزيت والسكر أدت بالرئيس السادات إلى التراجع عن إجراءاته.

.. وفى عام١٩٧٩م، وبعد مفاوضات مضنية بين الجانب المصرى الإسرائيلى بوساطة أمريكية وفى كامب ديفيد، تم عقد اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل،عملت إسرائيل على أثرها على إرجاع الأراضى المصرية المحتلة إلى مصر .وقد نال الرئيس السادات مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحيم بيجين جائزة نوبل للسلام للجهود الحثيثة التى بذلاها فى تحقيق السلام فى منطقة الشرق الأوسط. وتبرع السادات بقيمة الجائزة لإعمار مسقط رأسه بقرية ميت أبو الكوم كما أنه تبرع بقيمة ما حصل علية من كتاب البحث عن الذات لبناء مساكن جديدة.

.. كانت الأيام قبل حرب أكتوبر تمضى ثقالا على حكم السادات، والناس من حولى ملتفين وجلين متسائلين:

.. هل يحقق السادات وعده، وينجز حلمهم وحلمه ؟ .

.. كانت مصر آنذاك تعج بالشيوعيين، والكارهين لهذا الحكم والمستهزئين به الذين خولطوا فى عقولهم وانتقلوا من الصياح إلى الهتاف والنواح بل ومحاولة الثورة ضده والخروج عليه، وكانوا متجبرين فى جهالاتهم، وفى ضلالاتهم وأفاقوا على صوت البشير، وهو يزف إليهم النبأ العظيم عبر الزفير، لقد عبر الجيش المصرى المانع الحصين لقناة السويس، ورفع جنودها الميامين علم مصر على الضفة الشرقية لها بعد معركة مهولة أشبه بمعركة دير الجماجم التى سبق ذكرها إذ ابتلعت رمال سيناء المزيد والمزيد من جماجم الجيش الذى قيل إنه لا يقهر.

.. عندما هبطت طائرة السادات مطار اللد الإسرائيلى ظهر يوم ٢ نوفمبر ١٩٧٧م.

.. وقع العالم برمته فريسة الذهول فلم يكن أحد يصدق أن السادات يقدم على ذلك، ولكنه هو الرجل الشجاع آثر أن يشد رحاله إلى أرض العدو الإسرائيلى، وكأنه قد قرأ حكمة الرئيس الأمريكى السابق «إبرهام لنكولن» الذى أجاب على من سأله:

.. كيف ننتصر على عدونا ؟. فأجابه : أقول لكم : لكى تنتصروا على أعدائكم....صادقوهم .!

.. ولقد أراد السادات بهذه الزيارة أن يحقن دماء المصريين التى ارتوت منها أرض سيناء عبر حروب أربعة سالت فيها دماؤهم على أديمها ناهيك عن أرض اليمن أنهارا وأنهار.

.. كما أنه أراد أن يثبت للعالم أن مصر وقد انتصرت فى حرب أكتوبر فإنها تدعو دائما للسلام، وكأن لسان حاله يقول:

يقاتـــل أبطـال الجيوش بعزمه ينقذهم من ظلمـــة الكفـر والعما

.. وكانت هذه الزيارة بالنسبة إلى السادات وكأنها الميلاد الجديد للبطل، وكأنها أيضا ضوء الشمس المشرقة من السماء، وكما جاء فى كتاب «مولد البطل» للدكتور « الحجاجى» تواجه أولا السحب المنخفضة ولكنها فى النهاية تنتصر على جميع العقبات (the Myth of the Birth of the Hero).

.. اعتنقت إسرائيل ما قيل فى التوراة أن إسرائيل هى المالكة للأرض التى تمتد من النيل إلى الفرات معتنقين ومؤمنين بما جاء فيه فى خمسة مواضع من سفر التكوين.. ونحن نورد النصوص التى جاءت عن هذا الوعد فى هذه المواضع الخمسة،لنكشف ما فيها وما بينها من تناقضات صارخة،تعلن انتفاء الصدق والمصداقية عن هذه النصوص..

– ففى النص الأول: «قال الرب لأبرام – بعد اعتزال لوط له: – ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا،لأن جميع الأرض التى أنت ترى أعطيها لك ولنسلك إلى الأبد» تكوين ١٣: ١٤،١٥.

– وفى النص الثانى: «واجتاز أبرام فى الأرض من مكان «شكيم» إلى «بلوطة مورة»،وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض. وظهر الرب لأبرام

وقال.. لنسلك أعطى هذه الأرض،فبنى هنا مذبحًا للرب الذى ظهر له» تكوين ١ : ٦،٧.

– وفى النص الثالث: «وتكلم الرب معه (أبرام).. فقال: لا يُدعى بعدُ اسمك أبرام،يكون اسمك إبراهيم،وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض عزبتك،كل أرض كنعان ملكًا أبديًا» تكوين ١٧ : ٧،٨.

– وفى النص الرابع: « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا: لنسلك أعطى الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» تكوين ١٥ : ١٨.

– وفى النص الخامس: « والأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحق لك أعطيها» تكوين ٣٥ : ٢. ونوجز ما ورد بهاتيك النصوص سالفة البيان:

.. ففى النص الأول نجد مساحة الأرض الموعودة هى المساحة التى يراها بصر إبراهيم «جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد».

.. وفى النص الثانى حدودها «من شكيم إلى بلوطة مورة»

.. وفى النص الثالث نجد حدود هذه الأرض الموعودة هى حدود أرض كنعان التى كان إبراهيم متغربًا فيها.

.. وفى النص الرابع نجد حدود هذه الأرض الموعودة هى ما بين النيل والفرات!!..

.. ويتساءل الدكتور «محمد عمارة» فهل كان إبراهيم عليه السلام محيطًا بأرض كنعان (فلسطين) ؟!..

.. أم هل كان محيطًا بما بين النيل والفرات؟!. أم أن فى هذه النصوص من التناقضات ما يباعد بينها وبين أن تكون كلمة الله ووعد الله؟!.

.. وقد شاهدنا بأعيننا فى إحدى المواقع الحصينة التى وقعت فى يد الجيش المصرى وإجلاء إسرائيل عنها، وفى مركز القيادة وجدت كتابا تبين لنا أنه (التوراة) وقد سطر على هذه النصوص من قبل قائد الموقع بخط أحمر ظاهر للعيان ما سبق وأن ألمعنا إليه من أن الجندى الإسرائيلى بات يؤمن أن حدود اسرائيل من النيل إلى الفرات!

.. بعد حرب أكتوبر كتب الكاتب الإسرائيلى «ناتان زاخ»:

.. «عندما عدت من إنجلترا فى عام ١٩٧٨م أعلنت فى برنامج «مانى بار» فى التليفزيون الإسرائيلى أن قدمىّ أبدا لن تتخطيا الخط الأخضر. لن أذهب لإسرائيل، وأنا لا أريد أن تذهب كتبى هناك. لن أطأ أرضا محتلة».

.. وأضاف: «أخاف أن تتوقف هذه الدولة عن الوجود بعد خمسين عاما إن لم يكن قبل هذا، وفى هذه الأثناء ستندلع حرب وراء حرب.»

"لا أريد أن أرى مجدداً عشرات القتلى بلا سبب.. لأننا بنينا الجهاد الإسلامى بعنادنا».

.. وعن إقامته فى إسرائيل قال إنه لو كان يعرف أن إسرائيل ستكون ما عليه اليوم، لم يكن ليعود إليها من إنجلترا فى ١٩٧٨م: «يمكننى الكتابة بالعبرية من دون أن أعيش هنا. لا يجب أن أسمع يوميا عن

تعذيبات أو قتل فلسطينيين بالخطأ. لن أرغب فى إنهاء حياتى فى دولة مثل إسرائيل ».

.. وها هى ذى نص الرسالة التى بعث بها الدكتور «بنيامين شازار» أستاذ التاريخ بالجامعة العبرية عقب زيارته لمقابر الجنود الإسرئيليين فى جبهة السويس :

.. « لقد ثبت أن تفوقنا العسكرى ليس مطلقا، وأن الحدود الآمنة المثالية قد انهارت خلال فترة وجيزة، وأن قناة السويس ليست حاجزا من الطراز الأول ضد الدبابات وأن القادة والجنود العرب لم يتصرفوا كما كنا نتصور، وفى نفس الوقت فإن عددا من قادتنا العسكريين ارتكبوا أفدح الأخطاء، وذلك حين ظنوا أنهم يخوضون حربا على غرار حرب ١٩٦٧م. إن العرب قد تغلبوا على قيود الخوف، وأن على الإسرائيليين أن يتغلبوا على قيود الشك فى ذلك. إن هناك طريقا واحدا فقط لوضع حد لفقدان الروح المعنوية ولمعالجة الذهول الذى يصيب الإسرائيليين بالشلل وقد رأوا كيف انهار كل ما كانوا يؤمنون به. هذا الطريق ـ ياسيدتى هو الاعتراف العلنى والمخلص بالأخطاء، والتوجه بإخلاص ورضى نحو التسوية السلمية اللازمة».

.. وهكذا نجح السادات وأجبر العالم على أن ينظر لمصر والعرب نظرة جديدة ملؤها التقدير والإعجاب والاحترام.

.. ورد فى رواية الكاتب العالمى «ليوتولستوى» فى «القوزاق» أن بطل قصته راح يبحث عن مشاعر جديدة بين تقلبات الحياة، وهناك وقع

فى حب إمرأة قوقازية صغيرة فأسلم نفسه لأهواء متناقضة مضطربة، فأحيانا كان يظن أن السعادة تكمن فى العيش من أجل الآخرين لأن الحب هو إنكار الذات، ثم طغت عليه أفكار أخرى فأضحى يحدث نفسه :

.. «إن كل ما كنت أعتقده عن الحب ونكران الذات كان مجرد خرافة.. يكفى أن نعيش فقط أن نعيش..».

.. وهكذا كان السادات يعتقد أن سعادة وطنه فيما جاهد فيه ونافح وكافح.. ولكنهم قتلوه، وفى يوم عيد مصر وعيده قتلوه ثم عاودوا قتله مرة أخرى بعد اتهامه بالخيانة والعمالة (وحقق ما كان يريده الاستعمار لمصر) كما جاء فى كتاب «حقيقة السادات» للأستاذ «عبدالله إمام» وهذا على سبيل المثال.

.. بل إنه قال أيضا إن السادات كان كابوسا جثم على صدر مصر .؟!

.. تحول السادات بهذه المثابة من وطنى إلى خائن، ومن مناضل إلى عميل، ومن بطل إلى جبان. مع أنه حقق لوطنه ما عجز الآخرون عن تحقيقه.

.. وإذا كان التاريخ يذكر بين دفتيه أن الأوائل الذين كتب الله على أيديهم نصرا لبلادهم، أو أفاء الله به من العلم على أوطانهم تذكرهم أوطانهم بكل تحية وتقدير، فها هو ذا «إبراهام لينكولن».. الذى حرر الله به العبيد فى أمريكا. وهاهوذا « جيمس هاتون الاسكتلندى «James Hutton» يُذكر على أنه الذى وضع اللبنات الأولى لعلم

الجيولوجيا الحديثة مع أنه فى الأصل كان (محاميا)، وأصدر كتابه نظرية الأرض. الذى يذكر به.

.. هاهوذا السادات الذى قاد أول حرب غير مسبوقة فى التاريخ وأحرز بها نصرا هائلا على إسرائيل، ولكنهم يقولون عنه إنه خائن مع أنه كان صاحب فكر ثاقب، وصاحب همة غير مسبوقة، (والهمة) فى لغة العرب تُعَرف بأنها العزم القوى، يُقال هَمَّ بالأمر هما: «عزم على القيام به» فالهمة مبدأ الإرادة كما أنها نهاية الإرادة .

.. ومع ذلك اتهموه بالخيانة والعمالة وجاء هذا بمثابة الاغتيال الثانى له. بعد أن طالته يد المنون ولم يكن هو أبدًا بالرجل الخؤون!

.. عندما سئل خالد الاسلامبولى قاتل السادات :

.. لماذا قتلت السادات ؟.

.. أجاب : أعترف بهذا. ذلك أمر دينى.؟!

.. ويقول «عوديد جرانوت» و «جاك رينتج» فى كتابهما : «يوم قُتِلَ السادات» أن محاميه بعد اعترافه هذا قفز من مكانه كمن لدغه عقرب وطلب من المحكمة السماح له بالحديث مع المتهم ، ومن بعدها أنكر اتهامه وقال إنى برىء.

.. وعندما وجه إليه رئيس المحكمة سؤالا:

.. ما الذى أردت أن تجنيه باغتيال رئيس الجمهورية ؟

.. أجاب : لكى أحذر كل من سيأتى بعده وأردع كل من يريد اقتفاء أثره والسير على دربه، ألم يقرر السادات أن الشريعة الإسلامية هى

المصدر الأساسى للتشريع.. لم يكن سوى منافقا. لقد أراد فقط التظاهر بأنه حاكم مسلم لكنه فى الحقيقة ضحك علينا جميعا وخدعنا ؟!.

.. وأردف قائلا:

.. «إننى لم أشعر بكراهية شخصية تجاهه».

.. وعندما قال له رئيس المحكمة :

.. «ألم تخش تعرض أناس أبرياء على المنصة أيضا للإصابة بالضرر؟».

.. رد عليه قائلا:

.. «كلهم سيُحاسبون جميعا يوم القيامة على أفعالهم ونواياهم. فإذا (قتل شخص برىء) (سيدخله الله الجنة يوم القيامة)؟!.

.. ثم عرج المتهم على ما جاء بالدستور من أن الإسلام دين الدولة أجاب :

.. «إن النص المكتوب على الورق لا يساوى حتى «قشرة الثوم».. لقد ألغى السادات فى الحقيقة كل ما تبقى من الشريعة الإسلامية ؟!».

.. كانت جريمة قتل السادات جريمة بشعة مشهودة حصلت على مرأى ومسمع العالم كله نقلت عبر شاشات التلفاز، عبر أركان المعمورة.

.. وعلق الدكتور «سمير فاضل» فى كتابه «كنت قاضيا لحادث المنصة» فى حيثيات حكمه ردا على ما أثاره الدفاع فيها «بأن قتل السادات يخرج عن دائرة التجريم باعتباره حقا مقررا للفاعلين بمقتضى الشريعة الإسلامية بمقولة أنه قامت بالبلاد حالة إفساد تمثلت فى عدم

تطبيق شرع الله، والصلح مع اليهود، والقبض على علماء المسلمين، وتقديم شرار القوم على خيارهم ،وإشاعة الخمور، والسخرية من الملتحين والمحجبات، وتطبيقا لقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون».. وإعمالا لقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى التى تعطى الحق فى رد الاعتداء على أى حق من حقوق الله ولو بالقتل.. وأسوق هنا ماورد بحيثيات حكم المحكمة ردا على هذا الدفع بعد أن رجعت المحكمة للعديد من المصادر والمراجع الفقهية الشرعية الموثوق بها..جاء بحيثيات الحكم أنه : لتقييم هذا الدفع يلزم بادئ ذى بدء أن نشير إلى أن الفعل الرئيسى المنسوب للمتهمين هو قتل الرئيس الراحل «محمد أنور السادات» وآخرين ممن تواجدوا فى مكان الحادث، ويذهب الدفاع إلى أن هذا القتل تم بمقتضى حق تقرره الشريعة الإسلامية.

.. كما جاء فى حيثيات هذا الحكم :

.. «ويلزم للرد على هذا الزعم أن تعود المحكمة إلى قواعد الشرع الإسلامى المقرر بكتاب الله والسنة النبوية المشرفة، ومذاهب إليه أئمة الإسلام وفقهاء الشريعة الإسلامية فى تفسيرهم لما ورد بالقرآن والسنة، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. (من الآية ٥٩ من سورة النساء) وقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ (من الآية ١٢٢ من سورة التوبة).

.. وحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه الزهرى عن عمرو بين شعيب عن أبيه عن جده قال:

.. «إنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا، ولا يكذب بعضه بعضا، فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم منه، فكلوه إلى عالمه». (إعلام الموقعين لابن القيم جـ٢ ص ١٢٦).

.. ففى صدد ما نبحثه من أمر استباحة دم المسلم ومتى يكون ولمن يكون نعود إلى قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بما جئت به، فإذا فعلوا ذلك، عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها».

.. رواه البخارى وقد فسر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الحق بثلاث فى قوله «لا يحل دم امرئ مسلم، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» متفق عليه (راجع الشيخ أبو زهرة فى العقوبة صفحة ١٩٢).

.. قال تعالى فى كتابه الحكيم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (الآية ١١٦ من سورة النساء) وفى حديث لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت وإن زنا، وإن سرق قال : وإن زنا وإن سرق.. رواه البخارى هذه النصوص من القرآن والسنة تهدينا صراحة إلى أنه وإن كانت الأعمال مصدقة للإيمان ومظهرا عمليا له، لكن المسلم إذا ارتكب ذنبا من الذنوب بأن خالف نصا فى كتاب الله، أو فى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يخرج بذلك عن الإسلام، مادام

يعتقد صدق هذا النص ويؤمن بلزوم الامتثال له، وفقط يكون عاصيا وآثما لمخالفته فى الفعل أو الترك (تقرير المفتى المرفق بالقضية ص ٥).

.. وكذلك كفَّروا السادات.. كيف؟.

.. وإنما نترك فضيلة الشيخ «محمد متولى الشعراوى» ليجيب عليهم فى كتابه «أنت تسأل والإسلام يجيب» قال :

.. إن أى إنسان مهما كان علمه لا يستطيع أن يجترئ على واحد يعلن أن لا إله إلا الله ويقول: عنه إنه كافر.

.. ويقول أستاذنا فضيلة الشيخ «الدكتور محمد أبو زهرة»:

.. «الإيمان بالقلب والإسلام مظهره.. ولا يُفتى بردة مسلم إذا فعل فعلا أو قال قولا لا يحتمل الكفر ويحتمل غيره».

.. بل روى عن الإمام أنه قال :

.. «إذا قال كلمة تحتمل الكفر من مائة وجه وتحتمل الإيمان من وجه واحد فإنه لا يحكم بكفره».

وقد سبق للمتهم هو وزملاؤه أن استفتوا الشيخ « عمر عبد الرحمن « بما أزمعوا عليه من قتل السادات فأفتاهم (بعدم حل دمه).. وأنه إذا ارتكب معصية ـ هو أو غيره ـ كبيرة لا تخرجه عن هذه الملة.

.. وقد انتهت المحكمة وفق المادة ٦٠ من قانون العقوبات أن هذا الدفع الذى دفع به مدافع المتهمين لا أساس له من واقع القانون.

.. ومن ثم وقع شانئوا السادات فى مهواة الضلال.. وقد اعتقد كل منهم أنه «جلواز الوطن» وما كانوا كذلك.

.. كان السادات هذا الوطنى المقدام أشبه فى شخصيته، بشخصية « المتمرد La Disubbidienza "فى قصة الكاتب الإيطالى العالمى" ألبرتو مورافيا Alberto Moravia " .

.. وكان أعداؤه فى أقوالهم عن السادات أشبه (بالعابثين)، وهذا هو اسم لرواية لذات الكاتب الإيطالى (Gli indifferenti)، والتى عمد فيها إلى الكشف عن المخازى التى كانت تحدث فى روما.

.. كان السادات يقود وطنه وهو يلعب دور المتبوع الذى يتفق مع مقوماته العقلية والنفسية ولم يرتض أبدا دور الإنسان التابع Secundus الذى يسير فى سلوكه وفق تعاليم سابقة أو طبقا لمثال سابق.

.. وهكذا كان أيضا شأن جميع الزعماء والقادة الذين قادوا بلادهم نحو الأفضل، ومنهم بلا شك الرئيس الراحل " جمال عبد الناصر " الذى ما أن قبل مبادرة "روجرز" التى كان تقضى بوقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل لمدة ثلاثة أشهر حتى قامت عليه الدنيا وشنت عليه المقاومة الفلسطينية وغيرها هجوما حادا عنيفا وظل يتلقاه حتى جاء خريفه فى سبتمر ١٩٧٠م مات جمال عبد الناصر، والهجوم كان ولا يزال يلاحقه ظلما وعدوانا وكذلك اتهموا السادات بأنه "خلع الطاعة وفارق الجماعة "، وما خلع السادات الطاعة، ومافارق الجماعة، ولكنه كان يمضى فى جهاده من أجل وطنه بالشخصية Personality التى تولد كما يقول "علم النفس" مع صاحبها "شخصية يشع منها النور تراه، فيبهرك وإذا حاولت إدراكه حيرك"

.. كان العالم قبل حرب أكتوبر قد نحى احتلال إسرائيل لمصر ولهضبة الجولان والضفة الغربية، جانبا وأصبحت مصر تمر باللا حرب و اللاسلم من خلال اتفاق مبرم بين القضبين الأعظمين فى العالم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى، وقد انقسمت دوله إلى قسمين :

.. دول تصالح، ودول لها مصالح.

.. كل يبحث عن مصلحته أنى كانت وفى أى مكان توجد ونَقُصُ فى هذا الصدد مَا نجم عن سقوط قلعة "ديان بان فو" فى يوم ٧ من شهر مايو عام ١٩٥٤م، وهى التى حاصرها الفيتناميون الأحرار حصارا دام ٥٥ يوما على قادة الولايات المتحدة السياسين وغيرهم يقول مواطن أمريكى: عندما استمعت إلى الرثاء الذى بثه المذيع يوم سقوط القلعة، صدر عن قلب مكلوم حزين حقا، ولقد دهشت لأن هذه القلعة تقع فى الشمال الغربى من "إقليم فيتنام"، وإن الذين هزموا كانوا من جنود وضباط جيش الفرنسيين ولم يكونوا من جنود وضباط جيش الولايات المتحدة ـ ولكنه الغرب ومصالح الغرب ومستقبل الغرب، هى التى دفعت هذا المذيع المكلوم الحزين لأن يبث (مرثيته) على أبناء الشعب الأمريكى وغيرهم فى يوم ٧ من شهر مايو عام ١٩٥٤م.

.. رأيت كيف تكون المصلحة ؟!.. وكيف يكون البكاء عليها !.

.. وجاءت حرب أكتوبر السادات لتحول نظر العالم كله إلى كيفية التضافر فى سبيل تأييد مصر فى حربها ضد إسرائيل، وكذلك الوقوف بجانب سوريا وفلسطين فى سبيل استرداد أراضيها السليبة.

.. وبعد استشهاد السادات حصبه البعض بالحصى، وهجوه وهاجموه واتهموه، وكما سبق القول بأنه كفر كفرة صلعاء.. كيف ؟.. وقد أعاد للوطن سينا.

.. لقد كان كل شيء قبل حرب أكتوبر فى مصر يموت.

.. فى كل بيت من بيوتها يرتع عنكبوت.

.. فى كل يوم فى الربوع

.. الخضر يولد ألف حور

.. فى كل عش فوق صدر النيل عصفور يموت.. كما عبر الشاعر " فاروق جويدة ".

.. وكان السادات قد برح به الألم وهو يعد لحرب أكتوبر التى طويت على أوجع وأفظع الآلام التى كابدتها مصر فمزقت أحشاء الوطن وأدمت قلبه، ودفعت مصر إلى أن تسكب أحزانها على نفسها، ولكنها لم تستسلم أو ترفع الراية البيضاء.

.. فقد خاض جمال عبد الناصر حرب الإستنزاف بشجاعة وإيمان، وحقق ببطولة لأبناء مصر نصرا استراتيجيا على إسرائيل، ويشهد على ذلك معركة "شدوان"، ومعركة "رأس العش"، وتدمير المدمرة "إيلات" وإغراقها فى أعماق البحر الأحمر.

.. وتكبد فى سبيل ذلك المتاعب والمصاعب، ولم يسلم هو الآخر من حقد الحاقدين.

.. لم يكن السادات منافقا، ولم يكن لسانه مُداجيا، ولكنه كان وطنيا ذا صلابة وإباء، ولباقة ودهاء،وعزيمة ماضية وذكاء، ونكرانه

لذاته فى سبيل شعبه وانتصر على عدوه بحجته وبرهانه و خط باسمه أنصع صفحات التاريخ بين الزعماء والنبغاء والعباقرة والنبهاء، فقد أعطاه الله وجها.. فلماذا يصنع لنفسه وجها آخر كما عبر "شكسبير" .

.. يذكر الأستاذ " أنيس منصور " فى كتابه " فى السياسة " أن الإسرائيليين عندما هبطت طائرة السادات القدس فقد رأوا فيها سفينة نوح الجديدة التى تحمل نوعا واحدا من الكائنات: حمامات السلام، ونوعا واحدا من النباتات : أشجار الزيتون،وأملا واحدا لكل العصور : أن حرب أكتوبر هى آخر الحروب.

.. وفى كتاب "يهود اليوم" يقول المؤلف "إيلى ويسلى":

.. " النساء اللائى وقفن فى شوارع القدس يصفقن ويغنين ويبكين فرحا برؤية السادات، هن الأرامل اللائى قتل السادات أزواجهن .، والشباب الذى رفع الأعلام للسادات هم اليتامى الذين قتل السادات آباءهم، ولكنهم قد نسوا ذلك تماما.. فهم جميعا لا يريدون حربا بعد حرب أكتوبر.. وهذه هى المعجزة فى عصر انتهت فيه المعجزات، ولكن عظمة هذه المعجزة، أنها المعجزة الإنسانية.. فهى شىء فوق العقل، ولكنها تمت بالعقل، ويمكن تحقيقها بالعقل أيضا، وهذا ما يعطى لهذه المعجزة معنى جديدا، فلنحقق معجزتنا لإنقاذ إنسانيتنا".

.. والفرق بين الحدث العادى والمعجزة هو كالفرق بين المشى والطيران، بين الهبوط على الأرض والهبوط على القمر، وبين النثر والشعر.

.. ولا مشاحة ـ ولكل عظيم كبوة ـ أن اتفاقية كامب ديفيد والتى كانت محل أطروحة دكتوراه ـ بجامعة عين شمس ـ للدكتورة " فاتن عوض ". قد اعتور كاتبتها العجب من خلال ما أجبر عليه السادات، وكما جاء فى كتابها " السادات ٣٥ عاما على كامب ديفيد"، من انصياع السادات لما ورد فى الاتفاقية من استبعاد تمركز قوات مصر على خط المضايق الاستراتيجى آخر الخطوط الدفاعية فى سيناء وأهمها ؛ الأمر الذى لا يحقق الدفاع عن سيناء أو منطقة القناة التى تبعد عنه حوالى ٥٥ كم فقط، وبذلك الوضع يبقى حوالى ١٥٠ كم فراغا استراتيجيا دون أى مقاومة مضافا إلى ذلك حرمان قواتنا من كل مطارات الجوية بسيناء فجمعها شرق خط المضايق، وهو ما لا يمكن قبوله من الناحية العسكرية تحت أى ظروف.

.. بيد أننا نرد عليها بما خطه الأستاذ "صالح الحنفى" فى كتابه "الاغتيال الثانى للسادات" ردا على ذلك:

.. عندما تأتى ذكرى تحرير سيناء فبدل من الاحتفال بالنصر تخرج علينا بعض القنوات الفضائية وبعض الكتب بفتوى تاريخية سئمنا منها وهى أن مصر بموجب معاهدة السلام مع إسرائيل استردت سيناء غير كاملة السيادة ! كما أن حجم القوات المصرية بسيناء لا يمثل رادعا لإسرائيل أو لايمثل حماية أمنية لسيناء ! ولا أعرف كيف أرد على هؤلاء، هل أرادوا تشويه تحرير سيناء عن قصد أو عن جهل فمن المؤسف أن تكون الأولى ومن المخجل أن تكون الثانية، ففى إطار كامب

ديفيد تشير الديباجة الخاصة بإطار الاتفاق لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل إلى " الممارسة التامة : للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب، هذا فيما يخص السيادة المصرية على سيناء، أما بالنسبة لحجم القوات المصرية فى سيناء فتنص المعاهدة على تمركز فرقة مشاة ميكانيكية من القوات المسلحة المصرية بإجمالى ٢٢ ألف فرد ومنشأتها العسكرية وتحصيناتها الميدانية داخل منطقة تبعد قرابة ٥٠ كيلو مترا شرقى خليج السويس وقناة السويس وهى منطقة المضايق خط الدفاع الرئيسى الوحيد فى سيناء، وتتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من : ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية، لواء مدرع، سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعة مدفعية، سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات، ٢٣٠ دبابة هذا بخلاف قوات الحدود التى تصل إلى ٤٠٠٠ فرد وقوات الشرطة، تلك هى القوات المنقوصة !!! حتى لو سايرنا هؤلاء فى وصفهم لطبيعة القوات، فهل أصبحت النظرية هى "نظرية الكم" إن التاريخ العسكرى لا يقر هذه النظرية تماما ولا داعى لسرد دلائل على ذلك، كما أننا كنا قد حشدنا كل قواتنا قبل ذلك فى سيناء فى ١٩٦٧م وكانت لدينا ترسانة عسكرية جيدة من المخازن السوفييتية وحُشدت كل قواتنا بكامل تسليحها فى سيناء ومع ذلك ضربتنا إسرائيل فى الخامس من يونيو وتقهقرت كل هذه القوات وتراجعت وانسحبت من سيناء، فهاهى سيناء كانت مكدسة بالقوات ومع ذلك هزمنا، لذلك فإن الفيصل هو حسن التخطيط

والكفاءة والدقة فى التنفيذ هذا تسايرا مع الاعتقاد الخاطئ بأن القوات فى المعاهدة لا تكفى أو منقوصة. إن مجرد التحكم فى منطقة المضايق الاستراتيجية والسيطرة عليها كخط دفاعى رئيسى وحيد فى صحراء سيناء يكفل للقوات المدافعة أوضاعا استراتيجية ممتازة تحطم أى قوات عدائية مهاجمة، ولا أعتقد أن إسرائيل التى دائما ما تسعى لاصطياد الفرص وتنجح فى استغلالها كانت ستترك تلك القوات غير رادعة لها على مدار أكثر من ربع قرن منذ انسحابها من سيناء وحتى الآن دون أن تعيد الكَرَّة وتهاجم سيناء مرة أخرى ولكن إسرائيل تعرف جيدا قوة الردع المصرية فى سيناء،ولا لجاج فى أن مناورات الجيش المصرى فى سيناء خير رد على من يقولون أن سيناء منزوعة السلاح نتيجة لمفاوضات كامب ديفيد حيث شككوا فى إمكانية قيام القوات المسلحة المصرية بفرض سيطرتها على سيناء فى حالة نشوب حرب فعلية مع إسرائيل، وزعموا أن مصر لن تستطيع تحريك كل تلك القوات الضخمة فى الفترة المطلوبة وسيكون أمرا فوضويا إذا ما تم تنفيذه، فكان رد الجيش المصرى بإجراء مناورات ضخمة فى سيناء استطاع خلالها أن تنقل حجما كبيرا من القوات إلى وسط سيناء فى زمن قياسى بدايةً من المناورة بدر٩٦ التى كانت مثار الحديث والتحليلات لفترة طويلة وأثارت ذعر "نتنياهو" وقتها حيث استطاع الجيش المصرى نقل 50% من معداته إلى عمق سيناء فى ٦ ساعات واستطاع أن يصل لحالة الإستنفار الهجومى فى ١١دقيقة فقط (يعمل القادة على تقليل معدل

الوقت المستهلك مع التدريب على حرية الحركة بسرعة فائقة من مناورة لأخرى) ! وتم إصدار العديد من الدراسات الأمريكية حول هذا الإنجاز، وكانت المناورة تتضمن عمليات برمائية لتشكيلات عسكرية مصرية لصد هجوم إسرائيلى مفترض على سيناء ثم القيام بهجوم مضاد والتوغل داخل إسرائيل، ودائما ما تثير مناورات الجيش المصرى فى عمق سيناء ذعر وقلق الإسرائيليين حيث يعتبرونها خطرا موجها لأمنها القومى! كما أشارت إسرائيل عقب مناورة الجيش المصرى الأخيرة "بدوى ٣" بأنها موجهة إليها وتمس أمنها وأمانها !. كل هذا يظهر لنا حقيقة جلية وهى أن الجيش المصرى هو دائما درع الوطن وسيفه ومبعث فخر الأمة وصمام أمانها ومستعد دائما فى أى وضع وتحت أى ظرف للدفاع عن الوطن ولم لا ؟ وهو يمتلك خير أجناد الأرض.

.. ولكنها السياسة التى لعنها الإمام " محمد عبده " بقولته : " لعن الله السياسة، وساس، ويسوس ".

.. وأيضا إنها السياسة التى تحدث عنها الدبلوماسيون فى الشرق وفى الغرب فعبروا عنها:

.. " بأنها فن الممكن ".

.. ولم يكن السادات يملك غير هذا أمام التعنت الإسرائيلى الذى كان يتمنى أن تفشل مفاوضات السلام حتى يكون بمكنته أن تعود إسرائيل إلى سيناء من جديد.

.. وبمكنة مصر ذات يوم أن تعيد صياغة هذه الاتفاقية من جديد على ضوء خمسة اقتراحات ضمنتها كتابى " خواطر قاضٍ " تحت عنوان " سيناء هل نعمرها بالدعاء؟! "

.. ولا يفوتنا أن نذكر ما سجله الرئيس الأمريكى "ريتشارد نيكسون" عن شعب مصر الذى استقبله استقبالا حافلا قوامه مليون مصرى إبان زيارته لمصر إذ قال:

.. "زرت أعظم أرض فى التاريخ، واستقبلنى أعظم شعب فى العالم.. وكنت فى ضيافة أعظم رجل فى الشرق الأوسط ".

.. كما أفصحت الوثائق الأمريكية أن الرئيس الأمريكى ذاته كتب عن السادات يقول :

.. " لقد تملكت السادات شخصية الفلاح المصرى الذكى، ولأننى أعرف أنه (ذو ذكاء أسطورى)، فقد طلبت نسخ عدد من الوثائق الهامة تثبت كل كلمة مما سأكشفه له..لقد كشفه له على النحو الذى سردناه آنفا، وألمعنا إليه ".

.. انطلقت الرصاصات الغادرة لتغتال السادات فى يوم عيده.. وكأنها انطلقت فى قلب مصر.

.. وشيعه العالم فى جنازة حرص زعماء العالم من خلالها على تشييع جنازة السادات، وقالوا عنه ما دونه التاريخ

.. قال جيمى كارتر الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية :

.. «إننى لم أقابل أى رئيس أو مسئول أمريكى،إلا وحدثنا بصدق عن إعجابه الشديد بذكاء الرئيس «السادات» وتطلعاته وشجاعته.. وإننى شخصيا تعلمت الكثير من الرئيس «السادات»..

.. وكان الملك حسين ملك الأردن قد عبر عن ذلك بعبارات بليغة:

.. « ما يشدنى إليك أخوة صادقة ومحبة صافية ومسيرة مشتركة. فهى تكريس لوحدة شعبنا فى الألم والأمل وهى تعبر عن وحدة أمتنا فى الهدف والمصير. ولقد حفل سجلك الباهر على طول الطريق الذى قطعته مصر الغالية (بقيادتك الباسلة الحكيمة). بإحساسك بذلك الألم وإيمانك بذلك الأمل مثلما ازدان عهدك الميمون بإصرارك على ذلك الهدف ونضالك الباهر من أجل ذلك المصير."

.. وقال البابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكان :

.. «إنه كان رجل السلام وله رؤية نافذة لتحقيق المصالحة والوفاق لقد حظى الرئيس السادات بالتقدير لإيمانه القوى ولمبادراته من أجل السلام التى حاول بها أن يفتح الطريق إلى حل النزاع الطويل الدامى بين العرب وإسرائيل. "

.. أما «سوهارتو الرئيس الأندونيسى فقد قال :

.. «إن وفاة الرئيس السادات خسارة فادحة ليس للشعب المصرى فحسب بل للعالم بأسره».

.. وقال موبوتو سيسيكو الرئيس الزائيرى :

.. «إن اغتيال السادات أثر فى نفوس الزعماء الأفارقة وكل الشعوب المحبة للسلام وإن الرئيس السادات لم يدخر وسعا طوال حياته فى سبيل أن يطغى على المنطقة العربية والأفريقية السلام الشامل» .

..أما «نيكسون» الرئيس الأمريكى السابق فقد ذكر:

.. « أنه بموت السادات لقد تصدع صرح عظيم من صروح السلام، إن السادات تجسيد للشرف والأمانة."

.. جيرالد فورد رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سابقا فقال :

.. «إن السادات من أعظم الزعماء الحقيقيين فى العالم لا فى الشرق الأوسط فقط».

.. وقال والتر شيل الرئيس الألمانى السابق :

«إن الشعب الألمانى يعتبر الرئيس السادات رجل دولة يمارس سياسة تخدم السلام كما أنه رجلٌ لا يناضل فقط من أجل تحقيق الأهداف – كما يفعل الزعماء السياسيون عادة ولكنه يعلن صراحة مبدأ سياسته وهو المحافظة على السلام»

.. قال نيكولاى شاوشيسكو الرئيس الرومانى:

.. « إن الراحل العظيم كان شخصية سياسية عامة وكان يعمل من أجل السلام الدائم والعادل فى منطقة الشرق الأوسط».

.. وأشادت صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» الأمريكية بالرئيس الراحل محمد أنور السادات كبطل حرب وحاكم استثنائى،مستعرضة أهم الإنجازات التى حققها خلال فترة حكمه لمصر.

.. وأضافت الصحيفة أنه مع حلول ذكرى وفاة الرئيس السادات قد يبدو السادات لشباب ميدان التحرير الذى قام بثورته فى ٢٥ من يناير الماضى رمزا من الماضى البعيد،بل وقد يذهب البعض لمهاجمته لتوقيعه على اتفاقية سلام مع إسرائيل،لكنه ورغم كل هذا يظل رجل السلم والحرب وحاكم استثنائى فى التاريخ الحديث.

.. واستطردت الصحيفة تقول إن الرئيس السادات تولى رئاسة البلاد بعد وفاة سلفه جمال عبد الناصر المفاجئ فى أعقاب نكسة حرب ١٩٦٧م، ووطد علاقات بلاده مع الغرب، ثم وضع خطة محكمة ضمنت تحقيق مصر انتصار تاريخى فى حربها مع إسرائيل عام ١٩٧٣م، لتعيد للمصريين عزتهم وكرامتهم، وتكسر حالة الجمود التى دامت على مدى عقود طويلة فى الشرق الأوسط.

.. وقالت الصحيفة إن الرئيس السادات أقبل بعد ذلك على الخطوة الدبلوماسية التى تعتبر هى الأكثر استثنائية وتفردا فى تاريخ المنطقة الحديث،وذلك بقراره السفر إلى إسرائيل وإلقاء خطابه الشهير فى الكنيست الإسرائيلى ليعلن ترحيب بلاده بالعيش فى سلم وأمان مع الجانب الإسرائيلى،لينحى مصر جانبا عن دائرة الصراع فى الشرق الأوسط،وإتاحة الفرصة أمام المصريين للتركيز على بناء بلادهم بعد عقود طويلة من الحروب.

.. وذهبت الصحيفة الأمريكية إلى تشبيه الرئيس السادات برئيس الاتحاد السوفيتى السابق «ميخائيل جورباتشوف»،حيث تمكن السادات من كسر حاجز المحرمات باعترافه بدولة إسرائيل وإنهاء حقبة قاسية من العدائية والصراعات.

.. كانت حياة السادات أشبه بلمح من النور كما هى أشبه بلفح من النار.

.. وبعد أن اغتالته يد الغدر وبعد أن حرر مصر، وبعد أن ضم من الوطن الذراع، وكان فى طريقه للضياع.

.. عبر الدكتور «ناجح إبراهيم» فى جريدة الوفد فى الصفحة السابعة عن رأيه فى مقتل السادات وهو ـ كان ممن اتهموا باغتياله ـ قائلا:

لو عاد بى العمر لمنعت اغتيال السادات وبكل قوة، فقد كان اغتياله خطأ كبير وحسنات السادات أكثر بكثير من أخطائه.

.. يقال إن «على بن أبى طالب» كان إذا اعترضته عقبة حاول اقتحامها فإما كسرها وإما كسرته.

.. أما «عمر بن الخطاب» فكان يدور حولها حتى يجد لها مخرجا وهكذا كان السادات كما يتبدى لنا من مسيرته.

.. يقول أستاذنا العقاد:

والشعر ألسنة تفضى الحياة بها
إلى الحياة بما يطويه كتمانُ
لولا القريض لكانت وهى فاتنة
خرساء ليس لها بالقول تبيان
مادام فى الكون ركن للحياة يرى
ففى صحائفه للشعر ديوان

.. وإذا كان الشعر قد تخلف فى مصر كما كتب الدكتور «الطاهر أحمد مكى» عن الإشادة بالسادات،وهو بصدد حديثه عن شعراء حرب أكتوبر فى مقال له بمجلة الهلال المصرية إّ ذكر أن الشعر الذى جادت

به قرائح الشعراء فى هذا الخصوص جاء شعرا هزيلا لم يعبر عن هذا الحدث العظيم بيد أن الشاعر محمد البحيرى قد مجدَّ السادات بهاتيك الأبيات الرائعات التى قال فيها:

عشت يا سادات فى صفحات السؤدد
وكفاك المجد فخرا وعزا ومغنما
إستأسد القوم حربا بالكلام وتوعدوا
ووعدت نصرا فصدقت فاعلا ومتكلما
أعددتَ جيشا بالعلم والإيمان مسلحا
وخُضت غمار الحرب قائدا ومعلما
فى حومة الوغى أسدا جسورا
وفى السلم كنت خير مسالما
هذه الجولان تشهد بحسن مكرك
حين رددت سيناء مُفاوضا ومُحكما
حَفِظت مصر أرضا وشعبا كريما
وحفظك تاريخ مصر بطلا مُكرما
سبقت بفكرك مكر اليهود براعة
فكنت لمصر خير زعيم ومُلهما

.. كان زعيما عظيما وأديبا لبيبا له فى الفكر الأدبى شذرات ونفحات.

.. وانظروا ما فاه به «بيجن» قبيل وفاته والحزن يعتريه والألم يعتصره ويكويه، وهو يردد بملء فيه:

«ضحك علينا السادات أعطانا ورقة وأخذ منا سيناء»

.. وها هو ذا الكاتب الفرنسى «Robert sole» صاحب كتاب «مصر ولع فرنسى» يقول فى كتابه:

«السادات.. مصر أخرى»

«كان السادات بين زعماء العالم هو الرئيس السوبر ستار Super star» أى النجم الساطع

«لقد آثار السادات بشخصيته التاريخية غير المسبوقة مؤرخى الغرب».

.. ونحن نقول:

.. بل ومؤرخى الشرق كذلك!.

خاتمة

يقول الشاعر:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

.. أتم السادات رسالته وقاد بلاده نحو النصر المؤذر المبين.. بفضل رب العالمين.

.. وآبت سيناء إلى أمها الرؤوم لتحيا كما كانت – منذ فجر التاريخ فى كنفها تحت بصرها وبصيرتها.

.. كان الدمع قد جرى فى مآقيها وغاب سنا الربيع الذى كان ساكنا فيها وخيم عليها شتاء أقسى من الشتاء القطبى فأفل نورها فى إصباحها وإمسائها.

.. ذاقت مصر سنوات «الهوان» فى أعقاب هزيمة ٥ يونيو عام ١٩٦٧م، إذ خلفت الأمور بها عواصفا حول مراسى سفنها فتربصت بها الهموم، وأحاطتها الغيوم، وأمست مثيرة الشجن متنوعة الدُجن.

.. واحتدمت أسواق الجدال التى أضحت تتخابط حولها، ولاسيما بعد أن اعتلى – السادات حكم مصر – تَلج بالحجج الجائرة حول تحريرها من ربقة الاحتلال الإسرائيلى.. بينَما كان هو ثابت الجنان مطمئن الضمير والوجدان، قر عزمه على خوض غمار الحرب فى الوقت

الذى يحدده طبقا للظروف السياسية التى اعتورت مصر.. لا الذى يمليه عليه الآخرون.

.. منذ معية الصبا وحب مصر يمور فى قلب السادات، وكانت الآلم التى تذيب حشاشة الوطن كمرجل يغلى فى صدره، بعد هزيمتها، فاستغل دهاءه الذى كان يميزه عن قرنائه ولداته فى نسج خيوط العنكبوت حول زمن الحرب أو بالأحرى وقت نشوبها، كان دهاؤه أشبه بالدهاة العتاة الذين عدَّدهم كتاب «السياسة والحيلة،ورقائق الحلل فى دقائق الحيل». وانتهج منهج العلاج بالصدمة «Shock therapy» وأوقد نيران الحرب خلسة فكسرت شوكة العدو وأصابته فى مكمنه، فى سويداء قلبه فى ملحمة أكتوبر عام ١٩٧٣م التى وقفت من جرائها إسرائيل على رأسها والحزن يهتصرها فقد مكرت ولكن الله كان أسرع مكرا، ونامت مصر متيقظة على جنبها جزلانة بنصر الله بعد سنوات طوال من العسرة.

.. عندما توسد السادات كرسى الحكم فى مصر قام بإصلاحات عدة فى سبيل توطيد أركان الديمقراطية «Process of consolidation».. وإن كان قد تنازل عن البعض منها بسبب اتفاقية السلام مع إسرائيل، وبعد أن نفر بجيش مصر الباسل إلى قتال إسرائيل فاقتحم قلاعها المردة وأعاد لمصر أرضها وعرضها. بعد أن أضحى جيش مصر حديث العالم من أدناه إلى أقصاه، متسائلا هل كذبته أذناه؟!.

.. فغدا – بهذه المثابة – مثل الهلال بَدَا فلم يبرح به صوغ الليالى فيه حتى أقمرا.. أمسى كالهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا.

.. يقول أفلاطون: اتقن عملك تحقق أملك.

.. وقد أجاد السادات عمله وبلغ فيه الذرا لا يخاف الموت المتربص به ولا يرهب الردى.

كان يؤمن بقضاء الله وقدره وعندما طلبت إليه زوجه أن يرتدى الساتر الواقى من الرصاص حال توجهه إلى ساحة العرض العسكرى الذى أطبقت عليه فيه يد المنون قال لها: «إننى ذاهب إلى أولادى بالقوات المسلحة، وإن الموت قدر من الله، وإنه عندما يريد أن يأتى.. فسوف.. يأتى!.»

كأن السادات كان يؤمن بالقول القائل:

وما الموت إلا رحلة غير أنها
من المنزل الفانى إلى المنزل الباقى

.. جاء فى «الكتاب المقدس» فى «سفر التثنية»: «قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة!...» (تثنية ٣٠: ١٥ – ٢٠)

.. واختار السادات الموت لكى يحيا شهيدا عند ربه، وتحيا مصر مرفوعة الرأس عزيزة الجانب.

يقول الشاعر:

حكم المنية فى البرية جارى ما هذه الدنيا بدار قرار
فالعيش يوم.. والمنية نقطة والمرء بينهما خيال سار

.. قتلوا السادات فى برجه المشيد بعد أن حرر مصر وترك إسرائيل ترسل الدمع مدرارا لا يرقأ هذا الدمع السخين فى قلبها وفؤادها، وذلك بعد أن لجت فى ظلمات وسدرت فى غيها، فقد أخذها بالله الغرور.

مات السادات فى برجه المشيد، وصدق الله تعالى:

.. ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾

(سورة النساء أية ٧٨)

.. وإذا كانوا قد اغتالوه فقد ساروا على درب السابقين ممن أعماهم الحق وفارقتهم الفضيلة.

.. فـ «سقراط».. وقبيل الميلاد بما يقارب أربعمائة من الزمان! اتهموه بالكفر وأعدموه.

.. و «المسيح».. أنكروه وعادوه وعذبوه.

.. و «محمد».. تربصوا به الدوائر وحاربوه.

.. و «الحسين بن على».. ذبحوه.

.. و «الحلاج».. قتلوه.

.. وتربصوا الدوائر بالقديس «مار مرقس» وفصلوا رأسه عن جسده وأحرقوه؟.

.. وألم يقتل الغوغاء فيلسوفة الإسكندرية «هيباتيا» عالمة الفلسفة والرياضيات؟ لأنها أتت بما لا يعلمه الناس ولم يألفوه.

.. وتوماس مور صاحب الـ «Utopia ومعناها البلد الذى لا وجود له، والذى رفض الانصياع إلى طلبة «هنرى الثانى» بأن يحلف يمينا للولاء له فألقوا به فى برج لندن حيث حاكموه وأدين ظلما فشنقوه.

.. و «جالليو».. كذبوه وأذلوه.

.. و «جوردانو برونو».. اتهموه بالهرطقة والكفر ووأدوه.

.. و «سافونا رولا» الذى انتقد الحكم الثيوقراطى فى بلاده.. فأماتوه.

.. و «المهاتما غاندى».. اغتالوه. وكذلك كان الأمر مع «جان دارك» و «مارتن لوثر كينج» «جون كيندى»، و «أنديرا غاندى».

.. شيع العالم بأسره السادات – كما سبق القول – بالحزن والحسرات بينما رماه الشانئون بالخيانة والعمالة، وكان السادات منهما بريئا براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

.. كان قتل السادات جرحا غائرا فى كبد الوطنية، وثلمة لا سد وشقا لا تحوصه الأيام أو الزمان.

.. والذى لا مرية فيه أنها لو ذهبت مناقب السادات وبقى له قيادته لحرب أكتوبر لكان كفيلا له بالسؤود الذى تعنو له الرؤوس، فبهذه الحرب وثبت مصر تنفض عنها الغبار ونهضت من عثارها بعد أن كان حسابها قد تراجع مع التاريخ.

أفضى السادات إلى ربه شهيدا – بمنزلة هى أعظم وأجل ما يطمح إليه المسلم الصدوق – بعد أن كان جل اهتمامه «بالباقية» فهانت عليه «الفانية»، وبعد أن تسنمت مصر مجدا وحققت نصرا شهد به الدانى والقاصى فى أرجاء الدنيا.

وكما أسلفنا القول، امتدت إلى السادات يد المنون، ولم يكن أبدا بالرجل الخؤون. كما نعته البعض ظلما وغلا وعدوانا.

بيد أنها عين الرضا، فهى عن كل عيب كليلة، ولكن عين السخط تبدى المساويا.

.. وصدق الشاعر فى قولته، وكأنما يتحدث السادات:

وأفضــل النـاس فى الورى رجل قضـى علـى يديه للناس حاجات
قــد مــات مــا مـاتت مكـارمهم وعاش قوم وهم فى الناس أموات

.. ولا مراء أن الخير الذى جلبه السادات إلى مصر هو الخير المذكور وغير المنكور. فمن يفعل الخير لا يعدم جوازيه، لا يذهب الخير بين الله والناس.

.. سيظل السادات حيا فى ضمير وطنه وفى ذاكرة أمته حيا لا يموت.

.. فالعظماء لا يموتون.

المستشار

محمد مرشدى بركات

رمل – الإسكندرية

١٨ / ٩ / ٢٠١٣

ملحق الصور

السادات عقب تخرجه من المدرسة الحربية

أنور السادات مع مجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢

السادات وجمال عبد الناصر قصة كفاح وصداقة يربطها العيش والملح

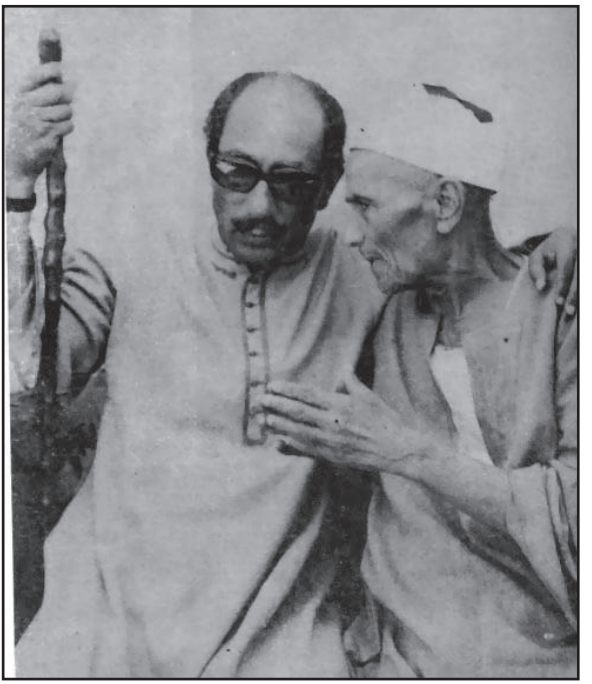

الرئيس السادات ظل مؤمنا بأنه جزء من الشعب

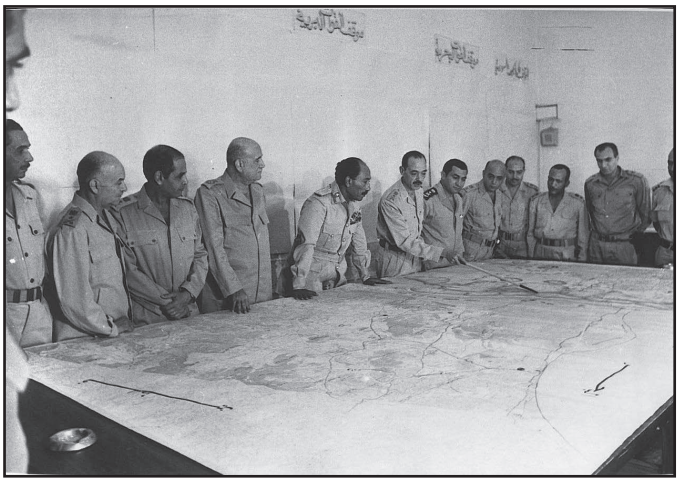

أنور السادات والتخطيط لمعركة التحرير

الجسور العائمة إلى نصر أكتوبر ١٩٧٣م

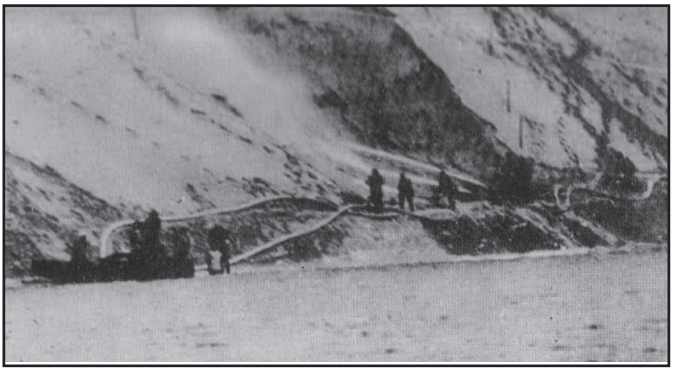

خط بارليف الغير قابل للنسف ولو بالقنبلة الذرية نسفه السادات بالماء

علم مصر يعود مرفرفا فوق أرض سيناء بعد ٧ سنوات من الاحتلال

جولدا مائير فى برقية لنكسون: إسرائيل تحترق.. إنقذونا

السادات والسعى إلى سلام المنتصرين

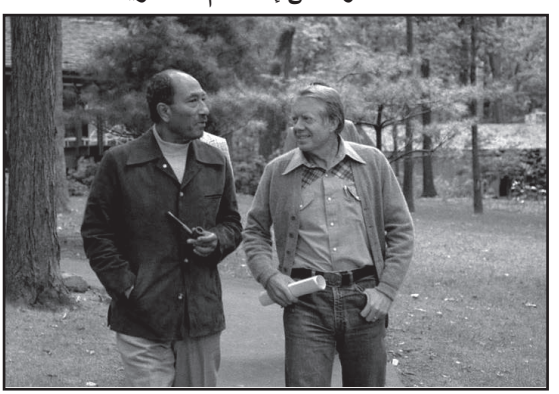

جيمى كارتر الرئيس الأمريكى الذى أحب مصادقة السادات

السيدة جيهان السادات رفيقة كفاح وحياة

السادات يطلع على تصميم النصب التذكارى لنصر أكتوبر

السادات شهيداً يوم إنتصاره

المؤلف فى سطور

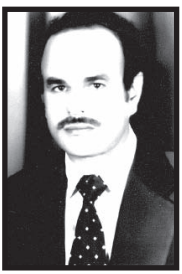

تخرج المستشار محمد مرشدى بركات فى كلية الحقوق – جامعة القاهرة – وعين وكيلا لنيابة قوص، ونيابة نقاده، ثم وكيلا لنيابة إسنا، فوكيلا لنيابة مركز الأقصر فمديرا لنيابتها ونيابة أرمنت.

.. وعين قاضيا ثم رئيسا لمحكمة الأقصر الوطنية، فرئيسا لمحاكم الغردقة، وسفاجا، والقصير، والزقازيق، وبنها،وطنطا، وشبين الكوم، ومحكمة جنوب القاهرة، فرئيسا لمحكمة مصر الجديدة عام ١٩٨٠م.

.. انتدب إبان عمله كرئيس لمحكمة جنوب القاهرة مستشارا للأمانة العامة لمجلس الوزراء لمراجعة قضايا المفصولين من غير الطريق التأديبى.

.. ومستشارا بمحكمة الاستئناف العالى ببنى سويف،ثم المنيا، فالسويس، والإسماعيلية، وبورسعيد.

.. فنائبا لرئيس محكمة استئناف القاهرة،فرئيسا للمحكمة بها.

.. وآنذاك رشحته دولة الكويت للعمل بها رئيسا للمحكمة، بمحكمة استئنافها، وإذ طلب منه تقديم استقالته حيث كان يعمل رئيسا بمحكمة استئناف القاهرة – مع زملاء له آخرون – .. رفض الإعارة وآثر البقاء فى مصر.

.. ورحل إلى قطر للعمل فى القضاء هناك، ثم عاد منها حيث أسندت إليه رئاسة مركز التحكيم الدولى الإفريقى.

* * * * *

.. حاز جائزة التفوق الاجتماعى وهو ينتظم فى الصف الثالث الثانوى بمدرسة الفيوم الثانوية،وكانت تتيح له الالتحاق بالجامعة دون التقيد بدرجات المجموع،وكذلك الإعفاء من المصاريف المدرسية مع زميليه «المرحوم الدكتور محمود أدهم» والأستاذ «محمود عارف» نائبا رئيس تحرير جريدة الأخبار.

* * * * *

.. حصل على العديد من الجوائز الأدبية: أولاها الجائزة الأولى فى أول عيد للعلم عام ١٩٥٩م – ١٩٦٠م عن بحث فى تحليل شخصية الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» وطبع بحثه على نفقة الدولة مع الفائزين الأربعة الآخرين، وكرمه الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة وسلمه شهادة امتياز وميدالية تقدير وشيك بمبلغ من المال فى هذا الاحتفال الذى كان على رأس المحتفى بهم فيه عميد الأدب العربى الدكتور «طه حسين».

* * * * *

.. فى السنة التالية فاز كذلك فى عيد العلم الذى كان يحضره الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» فى نفس المكان السالف ذكره وسلمه الجوائز الخاصة به عن بحثه فى مشكلة تنظيم الأسرة وكان

على رأس المحتفى بهم فى هذا العيد الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد» الذى فاز بجائزة الدولة التقديرية فى الأدب.

.. فاز بالجائزة الأولى فى بحثه عن (احتكار العلم) وسلمه جوائزه الأستاذ الدكتور «حسين سعيد» وزير التعليم العالى.

* * * * *

.. وكذلك سلمه المرحوم الأستاذ «صلاح دسوقى» محافظ القاهرة جوائزه فى بحثه الذى فاز فيه بالجائزة الأولى عن: (البترول العربى) سلاح ضد الاستعمار والسلطة.

.. فاز بالجائزة الأولى من جامعة القاهرة عن بحثه فى (مشكلة السكان فى مصر) وسلمه الجائزة الأستاذ الدكتور «حسين فوزى» وكيل جامعة القاهرة وأمر بطبع البحث على نفقة الجامعة.

* * * * *

.. كما نال الجائزة الأولى فى القراءة من وزارة التعليم العالى.

* * * * *

.. نشر له المرحوم الأستاذ الكبير «أحمد الصاوى محمد» مقالات مختلفة فى بابه «ما قل ودل».

* * * * *

.. كتب العديد من المقالات فى صحف الأخبار والأهرام والجمهورية والشعب والقاهرة «قبل احتجابها» والحرس الوطنى والتحرير (قبل احتجابها» وروز اليوسف والمصور وآخر ساعة وجريدة المساء.

.. شارك فى العديد من البرامج التليفزيونية منها قناة دريم – والتلفزيون المصرى – وقناة الغد.

.. صادق العديد من كتاب مصر على رأسهم عملاق الفكر الأستاذ «عباس محمود العقاد» الذى أرسل له برقية فى إحدى المناسبات قال له فيها:

«نرجو للمرشدى ذروة المجد والخلود الأبدى» كما أرسل له برقية أخرى قال له فيها: «نهنئكم ونرجو لكم مئات التهنئات بأسعد الأعياد»، ونشر له العديد من المراسلات فى يومياته بجريدة الأخبار المصرية. ثم فى كتبه الأدبية «يوميات العقاد».

.. وكذلك الأساتذة «توفيق الحكيم ومحمد ذكى عبد القادر وأحمد بهاء الدين وأحمد الصاوى محمد ويوسف جوهر والشاعر صالح جودت» وغيرهم من رجالات الفكر والصحافة.

.. متزوج وله ابنان «خالد محمد مرشدى بركات» وقد حصل على ليسانس الحقوق جامعة عين شمس – قسم اللغة الإنجليزية – بدرجة جيد جدا – ثم حصل على الماجستير من ذات الجامعة،ثم دبلوم فى Arbitration، وكذلك دبلوم من الجامعة الأمريكية،ودبلوم العلوم الإدارية،ويعمل قاضيا بمجلس الدولة.

.. و «سارة محمد مرشدى بركات» وقد حصلت على ليسانس الحقوق جامعة عين شمس – قسم اللغة الإنجليزية – بتقدير جيد

جدا، ثم حصلت على الماجستير من ذات الجامعة، وكذلك على دبلومة من الجامعة الأمريكية،ومرشحة للعمل وكيلا للنيابة الإدارية.

* * * * *

مؤلفات المستشار

١ – بحث عن الرئيس جمال عبد الناصر طبع فى كتاب مع آخرين عام ١٩٥٩م ونفد.

٢ – خواطر قاض... دار المعارف – القاهرة.

٣ – هموم مصرية... دار المعارف القاهرة.

٤ – محمد أنور السادات سيرة ومسيرة... دار المعارف – القاهرة.